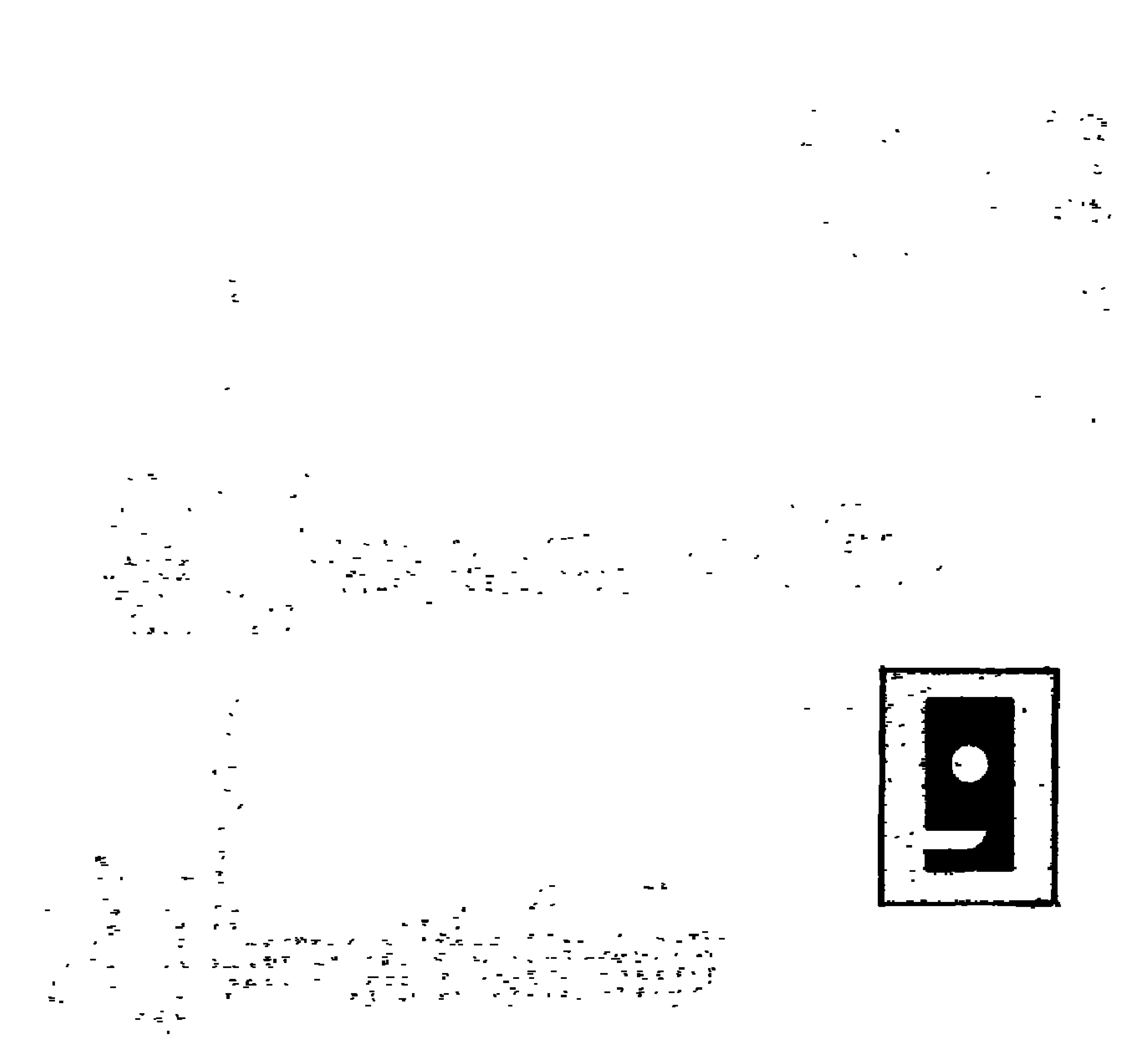
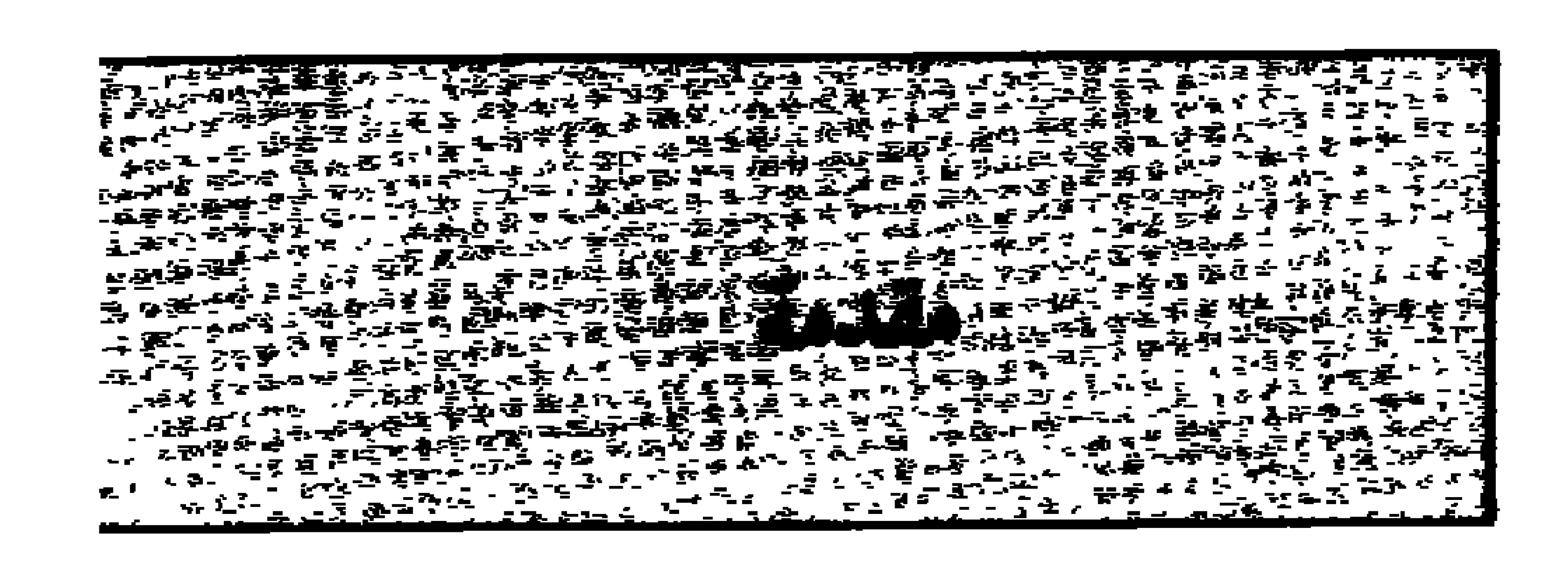


Bibliotheca Alexandrina
0096381

عباس عبد جاسم



مشروع
رؤية بعثية
في الصراع الحضاري العربي



في موضوعات هذا الكتاب – حاولت إستقراء إنعكاسات ومؤثرات (الصراع العراقي – الايراني) بالترابط الجدلي مع (الصراع العربي – الصهيوني) على جوانب من حياتنا العربية ، وذلك من خلال (رؤية بعثية) ذات طبيعة (سياسية – ثقافية) .

وهذه الرؤية – بمثابة مشروع أولي أسعى من خلاله الى تثبيت نقاط إرتكاز أساسية تصلح لأن تكون منطلقات فكرية متكاملة في المستقبل .

ورغم انني إنتهجت في مشروع هذه الرؤية (المنهج البعثي) من الناحية الفكرية ، فقد لجأت الى (طريقة الاستقراء) في كيفية المعالجة من الناحية الفنية .

وهذا المشروع يضع (قادسية صدام) نموذجاً متقدماً في الصراع الحضاري العربي على مستوى التنظير والتطبيق العملي ، وذلك باعتبارها جواباً قومياً حضارياً على كل التساؤلات التي كانت ومازالت تثيرها – إشكالات ومتناقضات حياة الأمة العربية منذ (نكبة عام ١٩٤٨ ، وهزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، وانكفاء حرب تشرين عام

١٩٧٣) وحتىٰ الآن ، بخاصة وان (قادسية صدام) بلورت مرحلة جديدة من التفكير والعمل والنضال على مستوى التخطي والتجاوز والنهوض العربي رغم مظاهر الانحراف القومي ، ومعوقات التحدي الامبريالي في هذه المرحلة التاريخية بالذات .

كما ان هذا المشروع – يتخذ من جوهر (الصراع الحضاري العربي) – محوراً مركزياً له ، باعتباره المحرك الاساسي لقوانين تطور حركة الفكر والتاريخ والواقع القومي للأمة العربية ، وذلك عن طريق البحث عن ماهية الصراع وما يتمخض عنه من عوامل محركة ودافعة وباعثة على مستوى كيفية السيطرة على حركة الصراع نفسه وقيادة إتجاهاته الرئيسية بالاتجاه الصحيح والواقعي ، وكيفية استخدام الزمن وتوجيهه بالاتجاه التنموي والثوري ، وتكييف العلم وفق خصوصياتنا الوطنية والقومية ، وتنمية السلوك الانقلابي – الثوري للفرد والأمة على مخلّفات وأمراض التخلف والتجزئة ، وإكتشاف الطريق الانبعاثي – باعتباره الطريق الوحيد لنهوض الذات ، وتحرير الارادة ، واستعادة الثقافة لهويتها القومية ، وبالتالي تعميق ثقة الانسان العربي بنفسه ، وثقة الأمة العربية بنفسها .

وأخيراً – فان موضوعات هذا الكتاب تتلخص في انها :

تبحث اكثر مما تكشف ، وتؤسس أكثر مما تبني ، وتشخص اكثر مما تعلل ، وتحلل أكثر مما تستنتج ، لانها خلاصة مشروع (رؤية بحثية) فيها الكثير من الثقة والتفاؤل .

وآمل ان أكون قد حققت شيئاً مما نطمح اليه في هذا الطريق . . .

الصّراع

والوعي القومي الحضاري

* **خطوط اولية**

ان الصراع العراقي – الايراني – جزء لا يتجزا من صراع حضاري شامل مع قوى الاستلاب الحضاري ، وحلقة من حلقات تطور الوعي بعوامل التخلف الحضاري بالاساس ، بما في ذلك نوع وطبيعة وحجم الصراع بأسبابه ومسبباته السياسية والاجتماعية والتأريخية ، لذلك فايجابية الصراع تلخص حالة جديدة من الانبعاث الحضاري ليقظة الروح العربية على مستوى التغيير والتحول والانقلاب – باعتبارها يقظة قومية مقرونة برسالة انسانية ، وبذلك تشكل ردا حضاريا على مرحلة (الانقطاع الحضاري) المتمثلة بالضياع النفسي والروحي للانسان العربي من ناحية ، والانقطاع الحاصل بين ماضي وحاضر ومستقبل الامة العربية من ناحية اخرى . ومن هنا – فالارادة القومية التي حوّلت الصراع الى قوة ايجابية فاعلة – هي محصلة نضالية (فكرية وعملية) بفعل امتلاكها لعوامل النضوج القومي والحضاري في وعي تناقضات الذات ووعي تناقضات الامة ، لانها خلاصة تجربة قومية حضارية متبلورة بوعي ايديولوجي عربي ثوري مسبق في فهم واستيعاب قوانين حركة التأريخ ، وسياق تطور الوعي القومي لوجود الامة العربية باعتباره وجودا حضاريا .

ومع ان النهضة العربية انتقلت الى مستوى الانبعاث الحضاري ، فان هذه الانتقالة الجديدة ليست عفوية بل ارتبطت بمحركات جديدة من الصراع الجوهري بين عوامل النهوض والتقدم ومعوقات التخلف والاستعمار ، بحيث اتخذ الصراع محاور مختلفة من التحدي الحضاري ، وقد تجلى من خلال دوافعه الاجتماعية والموضوعية بوصفه لا ينفصل عن سياق التطور الاجتماعي العام .

* **النموذج الحضاري**

وقادسية صدام – بمثابة اكتشاف لطاقة حية غير منظورة في داخل الانسان العربي ، وقد تجسدت بالفعل على مستوى الواقع المنظور ، كما انها اكتشاف لمدى قدرة العقل العربي المتمثلة بعمق وحيوية العلاقة الجدلية بين التطور الثوري والممارسة الثورية (العلمية والعملية) على مستوى الوعي التأريخي لحركة الواقع .

لذلك فالانسان العربي في هذه التجربة – قوة فاعلة ومؤثرة في سياق تطور الاحداث ، وهي بالنسبة له امتلاك لعناصر الثقة والايمان بحتمية التجاوز لعوامل الخوف والتردد واليأس ، لهذا عبّر عن وعي جديد لوجود فردي لا ينفصل عن وجوده الاجتماعي ، واكتشف بأن معاناته الذاتية متجسدة في معاناته الشمولية ، وان تجربته النفسية هي – تجربة نضالية مشحونة بالتطلع والقلق الايجابي المشروع الخلاق .

لذلك فالنموذج الحضاري – حقيقة انسانية حية متجددة متطورة في حياة الشعب العربي ، هذا النموذج يتميز بالقدرة في السيطرة على حالة التوتر المستديمة بين النفس والواقع . كما انه نموذج مستقل قائم بذاته ولكن ليس لذاته بل يعنى ضمنا بوجود حضاري انساني ، بحيث يمتد في اعماق الزمن ويتجدد مع حركة الزمن ، وبذلك فهو قيمة (روحية ومادية) عليا في هذه التجربة النموذجية .

*** التحدي الحضاري**

لقد تمخض المحتوي الحضاري في هذه المعركة عن رموز حيوية متحركة في الكيانات النفسية والروحية والعقلية للذات العربية ، اذ انه شكل نقاط انطلاق في السيطرة على حركة الزمن ، فقد كان طاقة (فاعلة – دافعة) لحركة الصراع باتجاه التقدم لصالح قوى الثورة ، وذلك من خلال استيعاب الماضي ووعي الحاضر واستشراف آفاق المستقبل . لذلك **اكتسب التحدي الحضاري ملامح هويته القومية العربية باعتباره تحديا عقائديا لقوى التخلف والاستعمار من جهة ، وفعلا ثوريا تقوده طليعة تأريخية واعية من جهة أخرى ، ولهذا فالعقل الثوري في قيادة التحدي الحضاري ازاء هذه القوى المتداخلة (الامبريالية والصهيونية والفارسية) أعطى خطا بيانياً جديداً للقدرة النوعية في المعالجة التأريخية لكيفية تحويل اتجاه الصراع الجوهري لصالح قوى التقدم الحضاري للثورة العربية في الوطن العربي .**

فالانتصار في هذه المعركة – كشف خطأ الافتراضات المعادية باعتباره حالة غير متوقعة فيما هو حالة واقعية متبلورة بحسابات استراتيجية مسبقة تشكل أول تحد عربي

(حضاري – قومي) للقوى الاستعمارية المتعددة ، وهو تحد تمثل بقوة واصالة وقدرة البناء العقائدي الجديد للانسان العربي .

* **المعركة ظاهرة حضارية**

ان المعركة – لم تحدث نتيجة اختلاف اقليمي أو خلاف حدودي ، بل هي نتيجة عوامل وظروف تأريخية واجتماعية وسياسية مركبة من الصراع المصيري بين : الوجود والعدم ، الاصالة والتقليد ، الابداع والابتداع ، التطور والجمود ، الحركة والسكون ، ولهذا فهي معركة حضارية بين قيم وافكار ومبادئ متقدمة ، وبين قوى تقليدية متخلفة على مستوى التحجر الفكري والجمود العقائدي .

اذن فهي بداية لمرحلة جديدة من الوعي الذاتي للانسان المتحرر والوعي الموضوعي لوجود الامة المستقل ، وبالتالي الوعي بالتناقض الحيوي والالتحام العضوي بين القوى الفردية والقوى الاجتماعية لحركة التأريخ ، وتفاعل وتجاوب بين روح العصر بمتغيراته السياسية وروح النصر بمعطياته النضالية .

ومن هنا فالمعركة خلخلت وقومت العلاقة المتبادلة بين حركة الانسان العربي وحركة الواقع الموضوعي من خلال خلخلة وتقويم المقاييس التقليدية بين النكوص القومي والنهوض العربي ، وبذلك خلقت حالة من حالات تجاوز الانكفاء الذاتي والانكسار النفسي للذات العربية ، وانبعاثه روحية للامة العربية ، ونقلة نوعية في حركة الفكر العربي . . .



*** التحدي والاستجابة**

يرى ارنولد تونبي في ضوء منهجه التأريخي (التحدي والاستجابة) : [1] .

- ان (المدنيات) التي تنجح في (مجابهة تحديات الزمان) تنمو وتزدهر.
- كما أنه (التحدي) هو الذي يخلق (رجال الاحداث) .
- وأخيرا فأن (الحضارة) لا تنبعث من جديد الا نتيجة (أزمة حضارية) قائمة .

أن جدل الوعي التأريخي لقوانين تطور الصراع بالمعنى الحضاري الحالتي (الركود والنهوض) في حياة الامة العربية يؤكد على مستوى حركة الواقع المعاش والتصور الفكري الملموس بأن المرحلة التأريخية التي نمرّ بها هي مخاض جديد من النهوض العربي المتمثل بالاستجابة الحضارية للانبعاث القومي الجديد من خلال طليعة تأريخية فاعلة ومؤثرة في مجرى الاحداث ، بحيث **جاءت المعركة الراهنة لتشكل ضرورة تأريخية ومحركا جوهريا للخروج من أزمة حضارية مركبة في الواقع العربي** ، وهذه الازمة هي حقيقة ماثلة في عوامل وظروف التخلف والتجزئة والاستعمار الحضاري ، لذلك فالامة العربية مازالت تخوض في كل معركة بشكل عام وفي هذه المعركة بشكل خاص مواجهة حضارية على مستويين :

---

١ - منهاج تونبي التاريخي - فؤاد احمد شبل . دار الكاتب العربي . القاهرة ١٩٦٨ .

- التحدي الداخلي : وفيه ينتقل الصراع الى مستوى جديد من (المعركة الداخلية) بين الانسان ونفسه من جهة ، وبين الانسان ومعوقات التقدم الاجتماعي من جهة أخرى .
- التحدي الخارجي : وفيه ينتقل الصراع الى مستوى جديد ايضاً من (المعركة الخارجية) بين الامة وقوى الاستعمار (الكولونيالي)[٢] من ناحية ، وقوى الاستلاب القومي الحضاري من ناحية أخرى .

وأية مداخلة (واقعية – تأريخية) بين هذين التحديين من خلال هذه المعركة تقودنا الى **أن طبيعة المرحلة الجديدة وضعت الامة العربية أمام دور تأريخي هو بمثابة أول تحد قومي حضاري عربي معاكس لآخر التحديات الاستعمارية المعاصرة** ، أي أن المعركة من حيث كونها محصلة لوعي ذاتي وممارسة تأريخية في مواجهة الانسان العربي لنفسه أولا ، ومواجهة الامة لواقعها المجزأ ثانيا – تشكل بداية نمو وتكون وتطور النموذج الحضاري المرشح في معركة التحدي الحضاري المعاكس لقوى التخلف والاستعمار النفسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

* الحرب من المبدأ الى الواقع

ان (الحرب في هذه المعركة) لم تكن حدثا عابرا ، لانها حالة مفروضة من قبل العدو ، ولكونها حالة جديدة لم تنته الى طريق مسدود بركام الخوف والهزيمة والاستسلام ولهذا فـ (المعركة في هذه الحرب) استثناء في مجرى الاحداث والمتغيرات الاستراتيجية في الوطن العربي ، بحيث أحدثت انعطافة جديدة في نوع وطبيعة

---

٢ – لقد ارتبط الاستعمار منذ بداياته ب (الكولونيالية) وهي شكل من اشكال استغلال البلدان المتخلفة ، بما في ذلك استغلال ثرواتها المادية وطاقاتها البشرية خدمة لاحتكاراتها الرأسمالية المتطورة على مستوى حركة التصنيع والتسويق في آن واحد ، واخيرا اصبحت (الكولونيالية) ظاهرة خطيرة بعد ان انتقلت الرأسمالية من مرحلة المنافسة الحرة الى مرحلة الاحتكار الرأسمالي .

وحول هذه المسألة راجع أيضاً : حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم الثالث ، الوطن العربي نموذجا ، الدكتور طيب تيزيني ، ط ٣ ، دار دمشق للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ ، ص ٦٠ .

ومستوى الصراع الجوهري بين قوى الثورة العربية الناهضة من جهة ، وقوى التخلف والاستعمار والامبريالية من جهة أخرى ، وبذلك فهي جسدت أعلى شكل من أشكال الصراع الحضاري باعتبارها عاملا حاسما لتقرير حالة التحرر العربي من السيطرة النفسية للاستعمار ، ومن ثم تحقيق نقلة نوعية على مستوى المواجهة الحضارية عن طريق تحريك وتثوير البنى الروحية والمادية في الكيان الذاتي للأمة العربية .

وقد تميز الشكل الجديد لهذا الصراع من حيث محتواه الجوهري بأنه اتخذ معنى الدفاع والصمود اولا ، ثم اكتسب معنى التحدي والتصدي ثانيا ، عبر الانتقال بالصراع من مستوى المعرفة الدفاعية عن الذات) الى مستوى (المعرفة التحريرية للذات) أي من اكتشاف الذات والنقد الذاتي الى اكتشاف ممكنات التغيير في الواقع الاجتماعي والنقد الموضوعي للعوامل المعوقة والممارسات المتواطئة في طريق التقدم والابداع الحضاري .

ومن هنا فهذه الحرب بالذات كانت بداية لمرحلة تأريخية جديدة في حياة الامة العربية ، وخطوة اولى في عملية تحويل الهزائم والانكسارات المتعددة لها الى حالة فاعلة متحركة متقدمة ، بحيث لا تشكل ردود فعل سريعة لمجابهة التحدي الاستعماري ، بل قوة مغيرة لمقاييس ومعايير وممارسات سياسية وعسكرية وثقافية سابقة . ذلك لأنها اشرت الاتجاه الواضح والعميق لطبيعة الكيفية الانتقالية من حالة انغلاق الذات العربية على نفسها الى حالة الخروج من (الازمة الحضارية) من خلال خلخلة وتقويم التصورات والبنى الفكرية والاجتماعية ، والسيطرة على توجيه الصراع باتجاه قومي تحرري شامل .

ويكشف المدلول الحضاري لهذه التجربة – بأن العراقي لم يدخل الحرب بـ (عقلية التجزئة) أو بـ (نفسية التجزئة) بل دخل بمحض ارادته دفاعا عن وجوده القومي ، وبايمان مقترن بوعي ومسؤولية تأريخية ، لأنه محصلة تجربة ثورية أعادت الى نفسه الثقة والايمان بأن وجوده لا يتجزأ من وجود الامة ، كما انه منتم الى أمة ذات تأريخ وحضارة وتراث قومي .

وبالتالي دخل في دائرة الصراع بمعرفة مسبقة – بأن قوى التخلف والعدوان مهما اختلفت أشكالها فهي تتوحد في أنها استعمار حضاري ، و «الاستعمار الحضاري هو استعمار نفسي» قبل كل شيء ، كما ان الاستعمار الحضاري «استعمار سياسي يستهدف الظاهر والمحسوس»[٣] . ولهذا دخل الصراع ليس كنموذج عراقي بل نموذج عربي متقدم على اشكالات ومتناقضات الواقع الذاتي والاجتماعي للامة العربية ، نموذج ذو عقل حضاري يتميز بقوة وعمق التجانس والالتحام العضوي بين التفكير العلمي والتمرس العملي في التفاعل مع المبادئ ، وكذلك التعامل مع الاهداف القومية بوعي ثوري تأريخي .

ان الديناميك الحضاري[٤] لنموذج قادسية صدام يكمن في القيمة الروحية لحالة التوتر الدائمة بين (النفس والواقع) وبين (الايمان والسلوك) ، وهي حالة وعي متنامية لامكانية الذات العربية وقدرتها على إحداث التغيير الحاسم والفاعل في سياق حركة التأريخ ، وتوجيه الاحداث الكبرى لصالح قوى التقدم والتغيير والثورة .

لذلك فالحرب – تجربة حضارية قائمة على حسابات عقلانية ثورية مسبقة ، فالاستعداد النفسي والفكري والعقائدي يشكل فيها المبدأ والواقع :

كيف تم اختيار الزمان والمكان ؟ وما هي الاهداف الاستراتيجية البعيدة المدى ؟ وما هي الحسابات والنتائج والاحتمالات القائمة ؟ وبالتالي كيف يتم استخدام السلاح بخبرة ووعي (فكري وعملي) دون تحشيد أكبر كمية من السلاح ؟ لأنها معركة مبادئ وافكار وقيم وحقوق حضارية مشروعة قبل كل شيء .

اذن فالعقل العربي في هذه المعركة لم يعد عقلا تقليديا محكوما بالوهم أو التصور المجرد في التعامل مع الزمن الحضاري ، لانه تعامل مع الزمن تعاملا دقيقاً وصارماً ،

---

٣ – مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، هشام شرابي ، مطبعة الاهلية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٤ – نعني بالديناميك الحضاري : الطاقة الحية المتنامية ، والحركة الفاعلة المتجددة لخصائص ومقومات الأنبعاث القومي الحضاري ، والذي يتميز عادة بالانقلاب – الثوري الدائم على مستوى الذات والواقع من خلال ديناميكية التغيير والتقدم الاجتماعي ، والتطور والابداع الحضاري في آن واحد .

وكان الزمن نفسه – وكذلك الزمن المضاف بالنسبة له – يرتبط بقوة التأثير وسرعة البديهة ودقة الحركة وأسبقية المباداة في الردع الحضاري كمحصلة لاندفاع ذاتي عقلاني ثوري في المجابهة . ومن ثم كشف العقل العربي عن قدرة متفوقة في استيعاب الصفحات المتعددة والجوانب المتباينة للمعركة وتقرير النتائج الحاسمة .

وكشفت تجربة الحرب بأن الانسان العربي يعي بعمق أن (ازمته الحضارية) هي أزمة مركبة من قوى مزدوجة نتيجة الازدواج الحاصل بين قوى التخلف والاستلاب الحضاري . والخروج من هذه الازمة يتطلب أن نخوض معركة حضارية شاملة بكل ما يمتلك من طاقات (روحية ومادية) بغية الانطلاق من داخل الأزمة نفسها . والعمل على حل معوقات التقدم الحضاري المتمثلة بتناقضات الواقع العربي بصيغ عقلانية ثورية ترتبط بأفعال نضالية دائمة ومستمرة لا تتوقف عند حدود معينة من الصراع . بل توسيع دائرة الصراع وتحويله الى طاقة تأريخية فاعلة بقيادة طليعة تأريخية أيضاً تقود الجماهير في معركة التحدي الحضاري للاستعمار الحضاري نفسه .

يقول الرفيق ميشيل عفلق :

«ان العرب يجتازون مرحلة تاريخية رافقهم فيها الحق والحرية كانهما قدر محتوم» .

«ان نظرتنا العميقة الى هذه المرحلة بالذات هي تجربة جديدة وامتحان لقدرتنا ليس على التحرر من الاستعمار فحسب ، بل على اعادة النظر في أوضاعنا ومقاييسنا الفكرية والخلقية قبل ابتلائنا بالاستعمار»[٥] .

ولهذا فالحرب كانت وما زالت تجربة (ذاتية – اجتماعية) مخاض صعب وشاق على مستوى الكيفية في بناء الانسان العربي الجديد . الانسان العقائدي المتحرر بالاساس من عوامل الاحباط والتداعي والانكسار النفسي والاجتماعي والسياسي . وكذلك على مستوى التوعية في بناء المجتمع العربي الجديد . المجتمع القومي الاشتراكي المتبلور بعوامل القوة والتماسك والثبات ، اي انها تجربة (ذاتية – موضوعية) من منطلق جديد . بحيث يخوض فيها الانسان العربي بناء وجوده الانساني من الداخل .

---

٥ – معركة المصير الواحد . ميشيل عفلق . ص ٨٩ .

وتخوض الامة العربية فيها معركة بناء وجودها القومي من الخارج وفق مقاييس وأوضاع جديدة بهدف تحقيق صيغ العلاقة والتفاعل بين الحقيقة الفردية للانسان والحقيقة الاجتماعية للامة .

ونخلص الى ان الامة العربية – على الرغم من كونها تخوض صراعا مصيريا على جبهات متعددة وبأشكال مختلفة من المقاومة والمناهضة لقوى التخلف والعدوان والاستعمار – فان معركتنا الراهنة وضعتها في وضع جديد ينبغي به حالات السكون والجمود والارتداد ، وان تجتاز مرحلة من التمزق والركود والضياع ، وتبدأ مرحلة جديدة من الحركة والتخطي والتجاوز ، **اذن فهذه المرحلة تتميز في أنها نقلت الامة من حالة المواجهة الحضارية في (الدفاع عن النفس) الى حالة (التقدم بالنفس) في المجابهة الحضارية ، بحيث اعادت اليها ثقتها بنفسها وبقدراتها المادية والروحية ، ودفعتها الى امام في اوسع تحد حضاري لها ازاء قوى الاستعمار الحضاري .**

٢ – الثقافة العربية وقوانين حركة الصراع القومي

* **مقولة الصراع الحضاري**

يشكل التناقض الرئيسي للامة العربية مع العدو الخارجي – المحتوى الجوهري لديمومة الصراع القومي مع قوى التخلف والاستعمار الحضاري ، ولهذا فان مقولة الصراع تحتم وضع «التناقض الرئيسي» فوق كل التناقضات الداخلية الاخرى– باعتباره صراعا مصيريا يرتبط بقوانين حركة التاريخ العربي– الفاعلة والمتصاعدة من ناحية ، وبعمق وشمولية العوامل الذاتية والموضوعية– المحركة والدافعة لنضال الامة من ناحية اخرى.

ومن هنا فان الصراع كشف في هذه الحرب عن فجوة حضارية فاصلة بين عوامل التخلف الثقافي ومستلزمات التقدم الاجتماعي في الوطن العربي ، وذلك من خلال وضع العقل العربي امام مواجهة حضارية جديدة من التفكير والنضال المناقضين لعقلية التجزئة الفكرية والنفسية والسياسية والاجتماعية ، ومعنى ذلك ان الضرورة التاريخية تقتضي اعادة النظر بالمعايير والمقاييس الفكرية «العلمية والعملية» للثقافة العربية من جديد على مستوى الوعي التاريخي باعتبارها «تنطوي على عملية صراع وتفاعل جدلي بين الدوافع التاريخية لهذه الثقافة ، وبين محاولات سلب هذه الثقافة

التي هي قيد التكوين : اصالتها وروحها المتجددة المتفاعلة مع العصر ، وبين رواسب المراحل السابقة في اطار انحطاط الحياة العربية ، ليخرج من هذا الصراع ومن هذا التفاعل الجدلي مفهوم حي لهذه الثقافة منسجم مع الشخصية العربية»[٦] .

وبما ان الثقافة لا تنفصل عن عملية الصراع الكبرى وترتبط بالتناقض الرئيسي للامة العربية مع قوى التخلف والعدوان ، وبما انها موقف فكري وعملي في مواجهة قوى الاستلاب الحضاري ، فهي اذن وسيلة وغاية وهدف وقضية كما ينبغي ان تكون من خلال مقولة الصراع القومي .

* **ثقافة المرحلة السابقة**

— ان ثقافة ما قبل هزيمة الخامس من حزيران «لم تكن تستوعب بدقة مقولة الصراع السياسي» ولم تستوعب ايضا ابعاد ومستلزمات الصراع نفسه ، ولم تتعامل مع الزمن بوعي تاريخي يضمن السيطرة على حركة الزمن نفسه ايضا ، لذلك فالعلاقة مهزوزة بين الثقافة و «خط سير الامة» بحيث افتقدت الثقافة الى عناصر الفعل والحركة والتأثير ، ولكونها علاقة ميكانيكية غير عضوية ، فقد تمخضت عن اقصى حالات الضياع والتمزق والاغتراب الثقافي بين النموذج الذاتي المأزوم والوضع الاجتماعي المنخور ، ولهذا لم تكن علاقة المثقف على درجة من الوعي المنهجي بامكانية الاستفادة من الواقع باتجاه تحريك الواقع ، بل كانت على درجة عالية من الوهم والتصور الفكري المجرد لحركة الاشياء غير المنظورة وواقع العالم غير المحسوس ، وهي بذلك ثقافة فوقية اذا لم نقل (نخبوية) تعلو الواقع ولا تمس الجوهر الاجتماعي لحركة الواقع .

ولان المثقف العربي يقف خارج وجوده الاجتماعي ، فهو يعيش حالة (ذاتية— فكرية) مركبة من الازدواجية والنرجسية نتيجة انفصامه الذاتي وانفصاله

---

٦ — في الثقافة والحضارة . الدكتور الياس فرح . ص ٩٢ .

الواقعي ، وبالتالي فهو عاجز عن اكتشاف موقعه الحقيقي وأين ينبغي ان يقف من حركة الاحداث ، ولكنه دائم البحث عن ذاته عبر وسط محكوم بعوامل وظروف القهر والقمع والاستلاب .

- وبعد هزيمة الخامس من حزيران لم تعد ازمة الثقافة أزمة علاقة بين الثقافة وبين «خط سير الامة» بل اصبحت الازمة اكثر عمقا واوسع شمولية بين الثقافة وبين «مصير الامة» ، وذلك لان الازمة كشفت عن فجوة هائلة بين الوجود الذاتي للفرد والوجود القومي للامة ، لهذا أحدثت الهزيمة هزة نوعية كبيرة وضعت الانسان العربي والامة العربية امام مواجهة قاسية لحالات الركود والجمود والسقوط الذاتي والاجتماعي .

ان هزيمة الخامس من حزيران لم تكن حالة مفاجئة لانهزامية الاستراتيج العربي في المعركة نتيجة غياب التخطيط والقيادة والادارة ، بل كانت هزيمة متوقعة بفعل ازمة مركبة من النقص والانحراف في العقل (العسكري- السياسي) نتيجة غياب المسؤولية التاريخية في القتال والمجابهة الحضارية ، الا انها كانت هزيمة مفاجئة للمثقف العربي بحيث خلقت قوة ارتطام مذهلة للعقل الثقافي ! ! حيث وضعته فجأة امام محنته الحضارية ليواجه نفسه اولا ، ويواجه مصير امته ثانيا ، وبالتالي فرضت عليه نوعا صارما من المراجعة والنقد الذاتي وكيفية استخلاص الدروس المؤلمة في التفكير والبحث عن مخرج ما لازمته (الذاتية- الاجتماعية- الثقافية) المركبة .

واة مداخلة استقرائية ل «ازمة العلاقة بين الثقافة وخط سير الامة» و «ازمة العلاقة بين الثقافة ومصير الامة»- تكشف لنا بأن هزيمة الخامس من حزيران هي في جوهرها- هزيمة ثقافية للذات العربية امام حركة الواقع وحركة التاريخ نتيجة الفجوة (السياسية والفكرية) الحاصلة بين الانظمة التي قادت الهزيمة ، والجماهير التي وجدت نفسها في الطريق المسدود ، الطريق الذي افضت اليه الانظمة المهزومة .

ومن هنا تكثف دور المثقف العربي في التركيز على ضرورة واهمية تصحيح اخطاء المرحلة السابقة ، وخصوصا فيما يتعلق ب «تحقيق الصيغة القومية للعمل الثوري

العربي) و «التأكيد على دور الجماهير وعلى الكفاح المسلح كعنصرين متممين لاستراتيجية العمل العربي الثوري بعد الهزيمة»[٧] .

* ازمة الانتليجنسيا العربية

رغم ان التساؤلات التي سأطرحها لا تصلح ان تكون محاور اساسية في الدخول في ازمة العلاقة بين الثقافة العربية وجدل الصراع القومي الحضاري للامة ، فهي تصلح ان تكون بداية صحيحة ومثيرة لتصور فكري نتلمس من خلاله ونتحسس تدريجيا مواضع الاورام الثقافية والمناطق المشلولة التي تحول دون ان تكون الثقافة عنصرا مهما من عناصر بعث الشخصية العربية من داخل الصراع نفسه ، وذلك من خلال انتهاج رؤية (خاصة–مستقلة) يتحقق فيها الربط الجدلي بين النضال القومي والنضال الاجتماعي ، وبالتالي حتى يتسنى لنا امتلاك القدرة على التمييز «بين الثقافة العربية كنتاج اجتماعي ومحصلة للتطور القومي من جهة ، وبينها كعنصر فاعل واساسي في التحول الاجتماعي وفي الحركة المبدعة داخل مختلف جوانب وميادين الحياة القومية»[٨] .

أ – من اين تبدأ نقطة الانطلاق في تحرير الثقافة العربية من حالات الاغتراب والتشويه الثقافي؟

– ان تحرير الثقافة و (الثقافة الشخصية) بشكل خاص يرتبط بتحرير الامة العربية جسدا وروحا من مختلف اشكال الاستعمار الحضاري .

ب – هل تنطوي ازمة الانتليجنسيا العربية على جميع تناقضات المجتمع العربي؟

– ان الثقافة العربية لا بد ان تحتوي على جميع تناقضات الواقع العربي بما في ذلك تناقضات الشخصية العربية بالاساس ، ولهذا يمكن النظر الى قوانين حركة

---

٧ – دور المثقف العربي في المرحلة الراهنة ، جريدة الثورة العربية ، العدد (٧ – ١٢) ١٩٨٩ .

٨ – في الثقافة والحضارة ، العدد السابق ، ص ٦٩ .

الصراع القومي للامة العربية من خلال الصراع الداخلي للشخصية العربية مع عوامل الخوف والضياع والاحباط ، ورغم اسبقية التناقض الرئيسي للامة مع عدوها الخارجي ، فأن التناقض الوجودي بالمعنى الانطولوجي للشخصية العربية مع عدوها الداخلي- ضرورة اساسية (ذاتية-قومية) لا بد منها .

جـ – ما هي مرتكزات النموذج الحضاري الذي تستمد منه الثقافة العربية القدرة الموضوعية على تحقيق عملية الربط بين النضال الفكري للثقافة والنضال القومي للامة ، ومن ثم القدرة على تحقيق التحول التاريخي في هذه المرحلة التاريخية من حياة الامة العربية .

– ان هذه المرتكزات تكمن في ضمان مستلزمات : ممارسة النقد الذاتي ، والوعي الثقافي لقوانين حركة التاريخ ، وتطويع المنجزات الحضارية للامة في مجابهة التحديات الاستعمارية .

لقد اردنا بهذه التساؤلات الاحتكام الى صيغ العلاقة والتجاوب والتفاعل مع (مقولة الصراع الثقافي القومي الحضاري) . ومن ثم التأكيد على اهمية انتهاج الطريق القومي العربي المستقل في التفكير والنضال والتناقض مع قوى الاستعمار الخارجي بمختلف اشكاله القديمة والمحدثة ، باعتباره (اي الطريق الثقافي الخاص) : المخرج الوحيد من اشكالات وتناقضات الازمة الثقافية الراهنة ، والدليل العملي والفكري الذي يحدد بدقة الاتجاه الجديد لصراع الامة الحضاري في هذا العصر بالذات .

لذلك فالمشكلة اللولبية) للثقافة العربية (كما يبدو لي) لا تكمن في عمق وضخامة وخطورة ازمة الثقافة نفسها ، بل تكمن في تعدد وانشطارات وتيارات الثقافة المتقاطعة احيانا والمتداخلة احيانا اخرى ، وكذلك في تعدد المشارب الفكرية والايديولوجية بفعل عوامل التجزئة النفسية الموروثة ، ورغم مشروعية هذه الانشطارات والانقسامات والمشارب المتباينة في التفكير الثقافي ، فهي ما زالت غير قادرة على الارتفاع بالانسان العربي الى مستوى (مسؤولية الوعي) في الصدام الحضاري مع قوى الاستعمار الحضاري نفسه ، كما انها ترفض بشكل سلبي وضع التناقض الرئيسي للامة فوق كل التناقضات الداخلية الاخرى .

ان المثقفين العرب يفكرون «وفقا لمنطقين : الغالبية العظمى منهم بحسب المنطق التقليدي (السلفي) والباقي بحسب منطق الانتقائي ، الا ان الاتجاهين يعملان على الغاء البعد التاريخي» وبالتالي فان «الفكر اللاتاريخي لا يؤول الا الى نتيجة واحدة : عدم رؤية الواقع ، واذا ترجمنا هذه بعبارات سياسية لقلنا انه يوطد في جميع المستويات -التبعية ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للفكر الانتقائي الذي يلح بأكمله على جميع المؤثرات الخارجية ، لكن الفكر التقليدي (التسنيني) ليس اقل تبعية على الرغم من مزاعمه» علما بأن «التبعية ظاهرة كانت ام خفية لا تعني فقدان الحرية والاستقلال ، ولا تتعدى على كرامة الامة ومصالحها المادية وحسب ، وانما تعني كذلك وبصورة خاصة استمرار التأخر التاريخي وتعميقه»[9] **والمحصلة النهائية لازمة الثقافة العربية- انها تقف في مفترق طرق ، ونتيجة الاختلاف الحاصل في هذه الطرق نفسها ، فان الوصول الى الاهداف المركزية في الصراع لا يمكن تحقيقه الا من خلال تعميق التناقض الرئيسي اولا ، ومن ثم بلورة وتعميق الطريق الثقافي القومي الخاص باعتباره (المشروع الحيوي القائم) لوحدة الثقافة العربية في معركة التحدي الحضاري .**

---

٩ - ازمة المثقفين العرب : تقليدية ام تاريخانية ؟ الدكتور عبدالله العروي ، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

٣ - الثورة والعقل الستراتيجي في ادارة الحرب

* الحرب وحركة الزمن

رغم ان للحرب زمنا استقرابيا ينمو ويتشكل وفق خط بياني– دينامي متحرك ، ويتمخض عن معطيات واقعية منظورة ، فهو زمن متنام لا يتوقف بمجرد ان تتوقف عند حدود معينة ، بل ثمة معطيات واقعية غير منظورة للحرب ، بحيث لا يمكن استجلاء الدلالات والمعاني القومية والتاريخية والحضارية لها الا من خلال المؤثرات النفسية والمتغيرات الاجتماعية لحركة الزمن ، باعتبارها حركة قومية تاريخية حضارية بالاساس ، **ولهذا فتجربة المواجهة امتلكت من عناصر ومقومات التحدي والمجابهة والصدام ما يجعلها (قوة نوعية) دافعة لعوامل التقدم الاجتماعي والتطور الحضاري ، و (حركة عقائدية) متقدمة على نوع وطبيعة الصراع من حيث الوعي الثوري (الايديولوجي) لقوانين حركة التاريخ ، بما في ذلك السيطرة على حركة الزمن ، والقدرة على تسيير (الصراع الراهن) باتجاه ثوري عقلاني هادف ، وبالتالي ف (زمن المعركة) يبقى مشروعا قائما لرؤى مستقبلية قابلة للامتداد العميق والتجدد الدائم مع حركة الزمن .**

* **القاعدة الثورية منطلق للتحرر القومي**

ان حربنا الدفاعية كانت – محصلة لتجربة نشأت وتكونت بفعل عوامل وظروف ذاتية وموضوعية منها (الحركة التاريخية– الطليعة الثورية– الاداة النضالية) باعتبارها (اي الثورة) علم وتخطيط وتنظيم ومراحل)[10] .

وتميزت الثورة بمنهج قومي اشتراكي مستقل من حيث التفكير والعمل والنضال ، ولهذا لم تكن محكومة بأطار قطري– وطني معزول عن الاطار القومي العربي ، بل كانت وما زالت تجربة ثورية قومية عربية على مستوى العقيدة والتطبيق ، وارضية هذه التجربة ليست ارضية محددة في الدفاع عن السيادة الوطنية فحسب ، بل هي قاعدة ثورية في الدفاع عن السيادة القومية للامة العربية ، ولهذا عبرت تجربتنا النموذجية في الحرب عن مدى قوة التلاحم العضوي بين الفعل التاريخي والفعل الانساني للثورة ازاء قوى التخلف والعدوان والتجزئة ، وهي بذلك تعبير حي عن «التحول النوعي» الذي احدثته الثورة في البنية الذاتية للفرد العراقي من ناحية ، وفي البنية الاجتماعية للامة من ناحية اخرى ، اذ وضعت الانسان العربي امام مواجهة واعية لاشكالات الذات اولا ، ومتناقضات الامة ثانيا ، وضرورة التحرك باتجاه الانتقال الى مستوى المجابهة الحضارية . **اذن فالثورة حلقات جدلية مترابطة من النضال والبناء والمواجهة المستمرة والدائمة على مستوى حركة الذات وحركة الواقع ، والتجربة الدفاعية هي المعطى الواقعي المعبر عن عمق وشمولية المعاناة النفسية والفكرية والنضالية لقوانين تطور الثورة في المسار التاريخي العام في المجتمع متمثلا بقيم البطولة والتضحية والالتزام** . ومن هنا فالعلاقة بين الثورة وهذه التجربة علاقة مبادئ وممارسات علمية وعملية قوامها الفعل الثوري في بناء الانسان الجديد من الداخل ، والفعل النضالي في بناء قدرة الانسان على مواجهة عدوه من الخارج ، ولهذا فهي ممارسة افعال (ثورية–نضالية) متفاعلة ومتلاحمة ضد قوى مزدوجة من التخلف والاستعمار . وهذه القاعدة الثورية التي انطلقت منها المواجهة – تتلخص في التجربة

---

١٠ – الفكر العربي الثوري ، الدكتور الياس فرح . ص ٢٤ .

النضالية الطويلة للحزب التاريخي والقيادة التاريخية الفاعلة في الاحداث الكبرى ، ومنها تستمد هذه المواجهة هويتها الثورية- العقائدية ، لانها تستند الى نظرية ثورية- نضالية من حيث الفكر والممارسة : الواقعية التاريخية .

* **الدلالات النفسية والتعبوية**

ونطلاقاً من القاعدة الثورية للحرب الدفاعية ، فان هذه التجربة هي نموذج متقدم لحركة التحرر القومي لانها :

- اول انتصار حاسم في حياة الامة العربية بعد نكبة ١٩٤٨ ، وهزيمة ١٩٦٧ ، وانكفاء ١٩٧٣ ، وهو تعبير عن نضوج وتبلور الايمان العقائدي للمقاتل بمبادئ الثورة وحتمية الانتصار التاريخي ، ومن ثم الاحتفاظ بروح النصر من خلال القدرة (النفسية والتعبوية) على مغالبة القوى المعادية .
- وهي ذات تقاليد عربية في القتال ، ليس لانها نقلت الحرب الى داخل حدود العدو ، بل لانها اقتحمت تحصينات العدو بارادة بطولية على مستوى المجابهة الفردية والجماعية ، كما انها خلخلت قواه النفسية والاجتماعية من الداخل ، بحيث دفعته الى الخلف الى حد الارتطام بالامر الواقع . . واقع الشعور بمركب النقص الحضاري .

ان عقدة النقص الحضاري هي في جوهرها- شعور مركب من عقد (التفوق نتيجة الفراغ الداخلي ، والغطرسة نتيجة الخواء الفكري ، والسيطرة نتيجة الضعف النفسي ، والتوسع نتيجة الاضطهاد الاجتماعي) وهذه النزعات النفسية ليست سوى عقد تاريخية موروثة بالاساس ، عانى منها الفرس نتيجة عوامل وظروف مزدوجة من الضياع الحضاري .

- ومع انها اطول حرب نظامية بعد الحرب العالمية الثانية . ورغم التفاوت الاستراتيجي في مبادئ التعبئة والتحشيد والتسليح (التقني والبشري) بين العراق وايران ، فقد احدثت هذه التجربة متغيرا مهما في سياقات الحروب الحديثة تمثل بأرجحية المعالجة (الكيفية-النوعية) باستخدام السلاح واسلوب المواجهة بوعي

استراتيجي عراقي خالص على كثافة الحجم الكمي الايراني الهجين في القتال .

– لقد جعلت المعركة من (التنمية والحرب) يسيران في خطين متكاملين متوازيين لاول في التاريخ الاقتصادي للحرب ، وذلك من خلال اعتماد الموازنة الذاتية–الموضوعية– بين التطور النوعي الكيفي للانسان من ناحية ، والتطور النوعي– الكمي للانتاج من ناحية اخرى ، اي بمعنى «ان الانسان المثقف المعد اعدادا فنيا عاليا ، قادر على استخدام وسائل الصراع والتعبير عن اهدافه المتطورة» كما «ان الدفاع الذاتي عن النفس والدفاع عن الامة بشكل صحيح ومقتدر ، يرتبط بنوع وحجم الانتاج»[11] .

* **العقل الاستراتيجي في ادارة صفحات الحرب**

ان الدلالات النفسية والمعنوية التي تمخضت عنها الحرب ، لم تأت نتيجة الصدفة القدرية العفوية ، بل هي نتائج منطقية لمبادئ العقل الاستراتيجي في المعالجة العلمية والموضوعية لمتناقضات واحتمالات ظروف الحرب من جهة ، ومستلزمات العوامل (البشرية والمادية) في نوع وطبيعة وحجم المواجهة الحضارية المطلوبة من جهة اخرى .

لقد استوعب العقل الاستراتيجي لواقع واحتمالات الحرب واستخلص ايضا ما كان يدور في اذهان علماء النفس والسياسيين المتخصصين قبل الحرب ، ووضع الاحتمال الاساسي الاول : ماذا لو لم يدركوا ردود الفعل المحتملة للشعب العربي؟

وقد حدد تفكيرهم الرئيس القائد صدام حسين «بنقطتين اساسيتين تستوجبان الانتباه في حساباتهم :

– النقطة الاولى : انهم لم يقدروا حجم ونوع الفعل ، وهذا هو دائما خطأ «الكومبيوتر» في حساباتهم لنفسية الجماهير ولاتجاهات حركتها وتأثيرها باعتبار ان المخططين الاعداء لا يحسبون طاقات الجماهير بشكل دقيق . لانه من غير الممكن ان

11 – طريقنا خاص في بناء الاشتراكية ، صدام حسين ، الطبعة الاولى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٩٧ – ٩٨ .

تكون حساباتهم– دقيقة ، وانهم مهما استخدموا من وسائل ضده ، تظهر لهم استثناءات خارج حساباتهم توقعهم في خطأ كبير ، اما الحسابات الصحيحة فهي فقط تلك التي تكون في الاتجاه الذي يخدم ويعبر عن ضميره واهدافه .

– النقطة الثانية : وتتحدد في انهم قد وصلوا الى حد يستدعي الاستعجال في مجابهة الامة ، واختاروا ان يكون الاستعجال في هذا الطريق ، بعد ان وصلوا الى قدر من فقدان الصبر باعتبار ان الطريق الذي سلكوه في السابق لن يؤدي الى النتائج المتوخاة بالسرعة المطلوبة ، لأن الامة مستمرة في حركتها على طريق عملية الخلق والارتقاء في دورها الانساني البناء)[12] لذلك تجاوز العقل الاستراتيجي – الحسابات التقليدية المباشرة ، واحتوى الاحتمالات القائمة عن طريق ادراك الضرورات التاريخية ومتطلبات العصر الراهن ومستلزمات عوامل التقدم لصالح قوى الثورة العربية في مواجهة القوى المعادية . وبالتالي الاستفادة «حتى من العوامل المضادة للامة من اجل تحريك عوامل الحياة والصيرورة في داخلها على طريق الارتقاء والتقدم والوحدة»[13] ولهذا **انطوى الاطار القومي للحرب على – حركة حية متجددة ترتبط بمحرك جوهري فاعل موجه بعقل مركزي يقود حركة الصراع بوعي (ثوري–عقائدي) ويتقدم على تناقضات الواقع بمنطق (عقلاني–موضوعي) ، لانه متبلور بحصانة مبدئية في قيادة الحرب ، وبقدرة فكرية على استيعاب اتجاهات الصراع ، وبمعرفة علمية لاهمية وضرورة المباداة في التاكتيك والاستراتيج (العسكري–السياسي)** ، اذن فهو عقل قادر «على وضع المعرفة العلمية والتكنولوجية في مكانها من الوعي القومي للمرحلة التاريخية ومتطلباتها» لان المعركة في هذه الحرب «ليست معركة عسكرية خالصة ، ولم تخطط بعقل عسكري خالص ، وانما خططت بعقل قائم على الايمان بمبدأ الحوار الحضاري مع الشعوب الايرانية لكي تفهم الى اي حد وضعتها قيادتها في موقع غير معقول بالنسبة للشعب العربي وبالنسبة للقضية العربية»[14] .

---

١٢ – امتنا والتحدي الجديد . صدام حسين ، دار الحرية للطباعة . بغداد ١٩٨٠ . ص ١٢ – ١٣ .

١٣ – المصدر السابق ، ص ٢٠ .

١٤ – قادسية صدام والانبعاث القومي . . وسقوط الاوهام والتقاليد . حوار مع المفكر العربي الياس فرح . اجرى الحوار خالد محمد لطيف . مجلة حراس الوطن . العدد ١٢ . كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ٨ ـ ٩ .

ونخلص الى ان هذه التجربة – هي متغير مهم من المتغيرات التي احدثتها الاستراتيجية السياسية–الايديولوجية) للحزب والثورة على طريق التقدم والاستقلال (الوطني والقومي) ، وقوة تاريخية جديدة تمخض عنها العقل الاستراتيجي على طريق النهوض والتطور (القومي – الحضاري) لانها بمثابة اكتشاف وتأكيد لوجود الامة الديناميكي بين الماضي والحاضر والمستقبل ، باعتبارها– امة حية مقتدرة واثقة من نفسها في عملية الانتقال من حالة السكون والركود الى حالة الحركة والانطلاق في محاربة قوى التخلف والتجزئة والاستعمار .

٤ - الصراع والارادة والمستقبل العربي

*** ادارة الصراع في صفحاته المتعددة**

ان من أهم المفاتيح في ادارة أشكال الصراع المختلفة في هذه الحرب ، وبالتالي التحكم في كيفية معالجة الحركة والتقدم والصدام مع القوى (الشعوبية - الصهيونية) المزدوجة هي : القدرة السياسية والاستراتيجية على استيعاب الصفحات المتعددة في الحرب ، بما في ذلك تعميق ومن ثم تسيير مجرى اتجاهات الصراع الرئيسية وفق حسابات واحتمالات دقيقة ترتبط بالنفس الطويل دون الاعتماد على النفس القصير ذي الاحتمالات الآنية السريعة ، ومن هنا كانت تجربة الحرب القومية للعراق حالة متجاوزة لحالات الحروب الاربع التي مرت بها الامة العربية وخصوصا في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، بحيث انتهت من حيث ابتدأت بالحرب الخاطفة - السريعة ، ومن ثم انكفات عند حدود التحريك أو التاكتيك العسكري ، وأخيرا وضعت الامة أمام مرارة الشعور بالعجز والجمود والاستسلام للواقع ، ورغم تحقيق الضربة الرادعة للكيان الصهيوني ، فان هذه الضربة لم تخرج عن أطار المفاجأة أو المناورة العربية لـ «اسرائيل» آنذاك .

وأية مداخلة مركزة - مختزلة بين الحرب الخاطفة والطويلة - لابد أن تقودنا الى **الحرب حالة متغيرة وغير ثابتة ، ولهذا فالسيطرة على المحركات الجوهرية للحرب تعني**

ضمناً كيفية احكام السيطرة على متغيرات الحرب وبوعي متقدم على تقرير أية نتائج مفترضة لا ترتبط بالمعرفة المسبقة لتناقضات الحرب نفسها ، بما في ذلك العوامل المحركة للصراع والدافعة لاتجاهاته المتباينة ، لان تقرير حالة الحرب هو بالاساس – ليس قرارا تعبويا – هدفه تحقيق النصر فحسب ، وانما هو خلاصة موقف ينطوي على قدر كبير من التفكير العلمي والتخطيط الاستراتيجي الشامل ، لانه موقف ذو مسؤولية تأريخية يضع الحسابات والنتائج القومية والحضارية في مقدمة المهمات المركزية في ادارة الصراع ، لذلك فالنتائج الايجابية للحرب – حصيلة قرار سياسي متبلور بوعي (ثوري – عقلاني) بفعل دقة الرؤية في النظر وسلامة المنطق في التفكير وبلاغة الحكمة في مواجهة العدو ، ولهذا كانت ثمرة القرار :

ان الحرب كلما توغلت اكثر في الزمن ، كشفت مدى دقة حسابات ونتائج القيادة التأريخية لعوامل وظروف الحرب المتغيرة ، حتى أصبح القرار بشأنها يشكل خطاً فاصلا بين الحرب الخاطفة غير المدروسة بوعي استراتيجي ، والحرب الطويلة المدروسة وفق اللحظة الزمنية والخطوة المكانية والظرف الموضوعي لاشكالات ومتناقضات الحرب نفسها .

ولهذا تمخضت الحرب عن منطق جديد للسلام العادل ولاول مرة في تأريخ الحروب الحديثة ، فالعراق مازال يقاتل من اجل ترسيخ مبادئ السلام العادل رغم استمرارية الحرب : المفروضة عليه ، وقد وضع السلام كقيمة انسانية قائمة على المحبة والحرية والعدالة في مقابل حالة التمسك الايراني اللامعقولة بالحرب رغم الهزيمة والاستنزاف والتداعي ، وبذلك خلقت الحرب – معادلة تأريخية جديدة تنطوي على النصر (العراقي – العربي) والاحتفاظ بروح النصر والدعوة المتجددة الى السلام من موقع القوة والاقتدار (السياسي – العقائدي) في حين تتمسك ايران بادامة الحرب نتيجة تخلفها عن روح العصر وحركة التطور الانساني من موقع الانكسار والاندحار والتقوقع السياسي – العسكري .

أن هذه المعادلة تكشف لنا : كيف انتصرت الذات العربية على نفسها من الداخل قبل تحقيق انتصارها التأريخي على عدوها من الخارج ، لانها اول معركة قومية

– حضارية يخوضها الانسان العربي في العراق – متحررا من عوامل الخوف والضعف والاحباط ، ويخوضها في هذه المرة باتجاه تحرير الذات الايرانية من عوامل الحقد والشر والعدوان لكي تدرك اهمية وضرورة التطهير الداخلي من الادران التأريخية الموروثة .

* معركة المستقبل العربي

ومع ان الحرب تجربة صعبة للذات العربية ، فهي تعبير عن ايمان عقائدي يرتبط بالوعي الذاتي بحتمية (معركة الوجود العربي) في هذه المرحلة التأريخية بغية اعادة العلاقة المفقودة بين ماضي وحاضر ومستقبل الامة العربية ، وهذا ما يجعل قادسية صدام نموذجا متقدما في طريق تعميق وتجديد الحقيقة القومية الانسانية للامة على مستوى حركة التأريخ ، وهذا ما يجعل أيضاً نهوض الامة من جديد مرتبطا بنهوض الحزب الطليعي الذي يقود المعركة بمهامه التأريخية .

لذلك فالحقيقة التأريخية المتمثلة بالوعي والايمان في حياة الحزب – هي حقيقة ماثلة في حياة الامة عبر نضالها القومي الحضاري المستمر في مغالبة قوى التجزئة والتخلف والاستعمار ذلك لان «في حركة البعث العربي يلتقي الوعي على احسن اشكاله بالايمان في أعمق صوره ، فحركتنا واعية لانها تتطلع الى المستقبل» كما انها «تقوم على الروح العملية والتفكير المنظم ، وهي تجمع الى جانب هذا أيمانا عميقا خصبا يمدها بالقوة الحيوية التي تجعلها تظفر على شتى المصاعب»[١٥] .

ولان الحركة التأريخية تقودها قيادة تأريخية على مستوى الانتقال بالقضية العربية الى مستوى النضال العقائدي ، فهي (أي الحركة) بمثابة محرك جوهري للتأريخ في مساره الاجتماعي العام من خلال تعميق العوامل الذاتية والموضوعية الدافعة لحركة الامة في مرحلتها الراهنة (الصاعدة والمتطورة) .

أذن فقادسية صدام – مؤشر جديد لمعارك مستقبلية حاسمة في التأريخ العربي

---

١٥ – عن مقالة . البعث العربي حركة تاريخية عام ١٩٥٠ .

بحيث «ان معادلات كثيرة في الواقع العربي سوف تتغير وتتبدل ، لان الامة سوف تجد نفسها بعد هذه المعركة قد انتقلت من موقع الانكفاء والدفاع والانتظار ، الى الهجوم»[١٦] وكذلك التقدم والتطور القومي الحضاري .

* **الارادة والوعي**

اذن فالقادسية الثانية استشراف لافق مستقبلي جديد ، وتجاوز لمراحل مريرة في حياة الامة العربية ، لانها انتصار لارادة الفرد العربي لنفسه ولامته ، وانتصار لارادة الامة نفسها وعلى واقعها ، وهي بذلك ارادة قوية قادرة على صنع التأريخ ، ارادة فاعلة وغير منفعلة لانها ترتبط بالمعاناة النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بفعل قوة ودقة استيعاب الوعي الثوري لعوامل وظروف القهر والتخلف والاستلاب .

يقول الرفيق القائد صدام حسين :

«ليس هناك امكانية بدون ارادة تسبقها ، ولكن الارادة تتفاعل زمانا ومكانا مع الامكانات كذلك ، وهنا يعني ان الاستقلال هو الارادة بالاساس ، وهذه الارادة مرتبطة بتصور شمولي للحياة وللدور الانساني الحر المستقل فيها»[١٧] .

ومن هنا فان المعركة هي معركة الارادة المستقلة المعبرة بوعي عن عمق وقوة الانتماء الوطني والقومي لوجود الامة وضرورة الانبعاث القومي الحضاري لواقع الانسان العربي ، وهي ارادة واعية بقيم ومبادئ التضحية والتجاوز والبطولة . ان قوة ارادة الانسان العربي في هذه المعركة – مستمدة بالاساس من الحصانة المبدئية في بناء الثورة لوجود الانسان العراقي – بناءا متماسكا من الداخل بعوامل القوة والتماسك والترابط بين السلوك الثوري والممارسة النضالية ، ذلك لان الثورة تعاملت مع الانسان تعاملا ثوريا استهدف تحرير طاقته الانسانية المبدعة باعتباره قيمة جوهرية في حياة

---

١٦ – المعركة والنصر الكبير الدكتور الياس فرح . جريدة الثورة ١ – ١١ – ١٩٨٠ .

١٧ – نظرية البعث والواقع القومي للامة . الرفيق صدام حسين . حديث الى الصحفي امير اسكندر بتاريخ ١٣ – ٥ – ١٩٨٠ .

المجتمع الثوري الديمقراطي المنشود ، ولم تكن المعركة الا تعبيرا عن ارادته المستقلة – المتحررة من عوامل النكوص الذاتي ، والواعية لقوانين حركة الصراع والتقدم الحضاري .

٥ – البعث العربي: الحركة والضرورة والقيادة

* الذات والهوية والمنهج

ان عملية تحليل واستيعاب متناقضات الواقع ، والاستفادة منها في تغيير الواقع . بما في ذلك الوعي التاريخي بحتمية مواجهة معوقات التحرر القومي والتقدم الاجتماعي والتطور الحضاري– هذه العملية هي في جوهرها– مهمة تاريخية بحاجة الى وعي تاريخي وحركة تاريخية قادرة فعلاً على خلق او صنع الاحداث الكبرى في التاريخ .

لذلك فان اول سؤال طرحه (البعث العربي) على نفسه هو «من انا؟» ثم حدد هويته «انا : امة عربية واحدة» ومن هنا انتقل من حالة (تلقي التاريخ) الى حالة (صنع التاريخ) من خلال الوعي البعثي لقوانين تطور حركة التاريخ .

واكد (البعث العربي) منذ ولادته على انه (حركة تاريخية) تشكل استجابة (للضرورة التاريخية) ، اي بمعنى انه حركة فكرية انقلابية شاملة على الواقع العربي الفاسد تبدأ بالانقلاب الداخلي للانسان على ذاته . وتتكامل بالانقلاب الخارجي للامة على واقعها المجزأ .

فالبعث العربي– خلق وتجديد وتطور قومي حضاري مستمر لوجود الامة . وتواصل وتنام وامتداد فكري وروحي بين الماضي والحاضر والمستقبل . وتوحيد والتحام وتجانس نفسي واجتماعي بين اجزاء الوطن العربي . ولانه عمل انقلابي عميق

وشامل– فهو عمل صعب وشاق لا يتحقق الا عن طريق الثورة والنضال في بناء الفرد والامة بناءا (ثوريا–تاريخيا) من جديد.

وعبر البعث العربي– بدقة (علمية–ثورية) في منهجه القومي عن الصراع الجدلي التاريخي، واعتبره– النضال الايجابي المضاد لعوامل وظروف التخلف الداخلي والاستعمار الخارجي، ولهذا انطلق في نضاله من «ثقة الامة بنفسها» وضرورة انبعاثها القومي واهمية نهوضها العربي، وحتمية صدامها مع قوى التخلف والاستعمار.

* القيادة والحركة والضرورة

ان ما يميز المرحلة التاريخية الراهنة عن المرحلة السابقة– كونها ليست (مرحلة صاعدة متطورة) فحسب، بل وانما هي مرحلة صراع مصيري تمخض عن وعي جوهري للتاريخ. **فالمعركة حالة تاريخية جديدة تعبر عن حركة تاريخية قائمة على الالتحام الجدلي بين الاهداف النظرية والافعال النضالية بالاساس، وبذلك فهي ليست انعكاسا لواقع تاريخي. وانما هي موقف فاعل في الواقع التاريخي نفسه، فانسان المعركة نتاج لوعي تاريخي بالواقع، وتجسيد لنهوض تاريخي متجاوز للواقع، ولهذا فالوعي والتجاوز في هذه المعركة (اول فعل عملي قومي عربي للانسان الفاعل والمؤثر في حركة التاريخ**، لان «كل شئ فعل، وعمل، حتى القوانين التاريخية بدون الانسان لا تصبح ضرورة تاريخية»[18].

اذن فالمعركة كانت ترجمة حية لصيرورة الحركة التاريخية– الحركة التي تعني بأن الانسان العربي– يجب ان يتجاوز عوامل التجزئة، وان يتحرر من مختلف اشكال الهيمنة والتبعية، وذلك من خلال المعادلة (النظرية–النضالية) المتمثلة بتحقيق العمل (الانقلابي – الثوري) من داخل الذات وعلى الذات ومن اجل بناء الذات على طريق (الوحدة والحرية والاشتراكية).

---

١٨ - القيادة والازمة الحضارية. جميل كاظم مناف. منشورات وزارة الثقافة والاعلام. بغداد ١٩٨٠. ص ٤٩.

لذلك فالمعركة ليست واقعة زمانية أو موقعة مكانية ، لانها حادث غير مجرى السياقات التاريخية (الزمانية والمكانية) ، ومتغير من المتغيرات التاريخية (القومية والحضارية) اذ انها اكدت على ان الحركة التاريخية للبعث العربي – حركة اصيلة متجددة وعميقة وشاملة ، تمتلك عناصر القوة والبقاء والخلود وتتميز بعوامل الفعل والتأثير والتجاوز ، وهي بذلك حركة واقعية ثورية نضالية متحركة ومتطورة وغير ساكنة أو جامدة في التعامل مع قوانين حركة التاريخ ، وذلك لان «نظرة حزبنا كما يقول الرئيس القائد ليس فيها اصطناع للتاريخ الحديث ولا للتاريخ القديم . وانما هي التحام نظرية بتيار التاريخ (من الداخل) لا نتيجة التطلع اليه (من الخارج)»[19]

فالتاريخ بالنسبة للبعث العربي عملية جدلية تنمو وتتشكل من القوى الذاتية والموضوعية الفاعلة والمؤثرة في سياق تطور حركة التاريخ . لانها (حركة متصاعدة متطورة) من الداخل الى الخارج ، ومن الخاص الى العام ، ومن الذات الى الشمول ، وبالتالي فهي حركة انقلابية تنطوي على الحركة في مقابل السكون ، والتطور في مقابل الجمود . والتقدم في مقابل التخلف . والتجاوز في مقابل النكوص .

ان الوعي القيادي لهذه المعركة هو في جوهره – وعي ثوري للحركة التاريخية التي جاءت استجابة حية للضرورة التاريخية التي ترتبط بالاحداث والتحولات النوعية والكيفية في التاريخ العربي المعاصر . لانه وعي يرتبط بالمبادئ العقائدية في التفكير العملي ، حيث انه لم ينشأ ويتكون نتيجة محاكاة التصور المثالي أو التصور الانعكاسي للواقع التاريخي ، وانما هو نتيجة معايشة التصور المحسوس والملموس لمرارة الواقع . ولكنه ليس تصورا استسلاميا لحركة الواقع . لانه تصور علمي – واقعي قائم على مبدأ الايمان بضرورة منازعة قوى القهر النفسي والاجتماعي والاقتصادي والتاريخي بروح ثورية تنطلق دائما من استلهام الماضي وممكنات الحاضر وآفاق المستقبل بصيغ

---

١٩ – التراث العربي والمعاصرة . صدام حسين . ص ٣١ .

متجددة متقدمة لان «الروح في تفكيرنا – كما يقول القائد المؤسس ميشيل عفلق – ليست شيئا غيبيا ولا سحريا يناقض منهجنا العلمي ، وانما هو الوعي ، وهي الارادة والاخلاص وكل النزعات التي تشدنا الى الخير والجمال والتضحية والبطولة ، وهي الايمان بالحقيقة والعدالة والحرية»[٢٠] .

كما ان الوعي الثوري للمعركة – وعي قيادي لحركة الواقع الجدلي – يقودها ويتقدم عليها في نفس الوقت ، متأثر ومؤثر بالعوامل الذاتية والاجتماعية لوجودها «الجماهيري – الديناميكي) ، لانه وعي عقائدي يرتبط بالقضية العربية للمعركة باعتبارها – قضية قومية بالاساس . ولهذا عبرت المعركة – عن وعي جديد للحركة التاريخية في تعميق العلاقة الجدلية الحية بين القاعدة والقيادة من خلال الالتحام العضوي بين الافكار المبدئية والممارسات العملية ، بحيث بلورت وعي الانسان لوجوده الذاتي ووعي الامة لوجودها الاجتماعي على مستوى ادراك الضرورة التاريخية للنهوض العربي وايجابية الصراع المشروع مع قوى التخلف والهيمنة والتبعية ، والعمل على تعميق التناقض الرئيسي للامة مع عدوها الداخلي والخارجي – بغية استعادة هويتها واستكمال شخصيتها العربية من جديد .

لقد استوعب الوعي الثوري للقيادة – خصائص ومقومات حركة الفكر النضالي ، بما في ذلك الارتفاع بالمبادئ السياسية والاستراتيجية الى مستوى التطبيق العملي في المواجهة القومية – الحضارية ضمن هذه المرحلة التاريخية الراهنة ، وتسيير حركة التاريخ من خلال قيادة الاحداث الحاسمة في الاتجاه الصحيح والواقعي ، لذلك كانت قوى التقدم والتحرر في هذه المعركة – موجهة بعقل ثوري قائم على الوعي التاريخي والايمان العقائدي بان الامة العربية : امة حية لها رسالة خالدة ذات بعد قومي انساني وثوري تاريخي .

---

٢٠ – البعث وتحديات المستقبل . ميشيل عفلق . ص ٨ – ٩ .

٦ – قادسية صدام : مؤشرات واستنتاجات

ان قادسية صدام هي – خلاصة نواة مركزية لمعارك تاريخية سوف تكون حاسمة في المستقبل العربي ، لانها قوة جديدة استجمعت عناصرها الواقعية من الوعي الجدلي العميق والشمولي بالمحركات الاساسية للتطور الاجتماعي والتاريخي ، **ولهذا فان ما يجعل المرحلة التاريخية الراهنة التي نمر بها – مرحلة صاعدة ومتطورة بعوامل القوة والتماسك ، ويمتلك فيها الانسان العربي القدرة على التحرك والصدام المباشر وغير المباشر مع قوى التخلف والعدوان – كونها مرحلة وعي للصلة المقطوعة بين ماضي وحاضر ومستقبل الامة العربية ، بما في ذلك مقدرات الامة وقدراتها الذاتية والاجتماعية ، ومن ثم متطلبات ومستلزمات التغيير والتطور والصمود العربي عبر تنمية وتعميق عوامل الصراع الحضاري بغية تحقيق الانتقالة النوعية المطلوبة واستكمال عوامل النهوض الحضاري في حياة الامة العربية .**

ان «التراكم المعرفي الشامل» للحضارة لا يكون فاعلا ومتفاعلا مع روح العصر ما لم تكن عناصره المادية والروحية حية متحركة . كما لا يعطي هذا التراكم اية اضافة على صعيد الفكر والممارسة دون ان يرتبط بصيرورة وتشكل ونضوج المعاناة النضالية : الشاقة – المتنامية على الدوام في التعامل مع الواقع تعاملا علميا وعمليا اولا . وفي التعامل مع الزمن تعاملا نفسيا وثوريا ثانيا . وبالتالي فان اية حركة لبعث القوى

المخزونة لهذا التراكم لا يمكن ان تكون فاعلة ومؤثرة دون اقترانها بحركة الانطلاق والتحرر والانبعاث القومي كحاجة انسانية معاصرة الى ضرورات التجدد والامتداد والتطور الحضاري ، لذلك لان الانبعاث يأتي استجابة حية مقرونة بمتطلبات ومتغيرات الواقع العربي الجديد .

وبما ان القادسية الثانية – انتقالة جديدة من مرارة التخلف والجمود والسكون الى زهو الانتصار والثقة والايمان بقدرة الامة على مواجهة القوى المضادة لحركة نهوضها القومي ، فهي امتداد تاريخي متواصل لحضارة العرب المتجددة ، واضافة جديدة لحياة عربية اصيلة انتصر فيها الانسان العربي على الاوهام والخرافات والقيم المتخلفة البالية ، وهذه الانتقالة في حياة العرب – وثبة نوعية لانتصار حقيقة الفرد لنفسه وحقيقة الامة لوجودها في ظروف الاحباط والتداعي والاستسلام . فالحالة الجديدة التي تمخضت عنها تجربتنا القومية في الحرب – هي خلاصة (تحول وتجاوز وتجدد) تؤشر عبر خطها البياني المتصاعد :

قدرة العقل العربي على إحكام دقة الحسابات الاساسية وتقرير النتائج المستقبلية بوعي عقلاني متقدم ، ومن ثم قدرة العقل العربي الخالصة ، في توجيه وقيادة تطور الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية باتجاه حضاري قومي ذي اهداف انسانية محددة من حيث المنهج والتفكير وفي طريقة واسلوب المعالجة الثورية – التاريخية لاشكالات ومتناقضات واقع الانسان العربي وواقع الامة العربية في آن واحد .

اذن فهي – محرك ذاتي وموضوعي للبنى النفسية والاجتماعية وفق مقاييس وموازين علمية – واقعية صائبة في دفع الامتدادات الافقية والعمودية للوعي القومي الاجتماعي للامة العربية ، لانها وليدة تجربة (ثورية – قومية) ذات (طريق عربي خاص) وافق انساني عام .

وبالاضافة الى ان هذه التجربة – تعبر عن قوة تاريخية جديدة في بلورة وتعميق العلائق الحية بين الافكار والممارسات الثورية ، وتنمية وشحذ الصيغ الناضجة بين التوجهات والاتجاهات الصحيحة والواقعية في المرحلة التاريخية الراهنة ، فهي تعبر عن

قوة ذاتية كامنة في داخل الانسان بالذات ، لانها تستند الى (الدافع الذاتي) في محاربة قوى التخلف والاعداء ، وهو دافع ذاتي تلقائي ملتزم بقضية الدفاع عن وجوده الانساني لانه وجود قومي له تاريخ حضاري طويل ، ومعنى ذلك ان (الدافع الذاتي) هنا – ليس دافعا معنويا وتعبويا فحسب ، بل هو دافع اجتماعي بالاساس .

وهذه القوة (الذاتية – الاجتماعية) الدافعة والمتجددة في المعركة هي – تجسيد لايمان الانسان العربي بحتمية تجاوز حالات النكوص دواليأس والتخاذل اي الايمان العقائدي الذي يرتبط بالمبادئ والقيم الحضارية الحية والمتجددة بفعل القوة النوعية لحركة التاريخ الدافعة له ، والتي تشده نحو اقامة صرحه الانساني المتحرر والمستقل ، وذلك لانها مواجهة اتخذت اشكالا مختلفة من التحدي الحضاري ، ولهذا لابد من الاندفاع او الدفاع عن الجوهر النفسي لكيانه الذاتي ، والجوهر الاجتماعي لوجوده القومي الحضاري .

الثقافة والصراع

نحو طريق ثقافي قومي جديد

* منطلقات أولية في تأريخ الثقافة العربية

في البدء أثرت عدم الانطلاق من (نقطة الصفر) في البحث عن (علل التخلف) و (علل التقدم) في تأريخ الثقافة العربية وقوانين حركة الصراع القومي الحضاري ، وذلك لان (العوامل الدافعة) و (المعوقات المضادة) لحركة تطور التأريخ العربي كانت ومازالت تتمخض عن حقائق غير نهائية ، لهذا لا يمكن أن تؤخذ الأسباب المحركة والنتائج المستخلصة من مختلف المستويات المتباينة لحالات السكون والانبعاث في طبيعة الشخصية العربية بشكل خاص . والأمة العربية بشكل عام بمعزل عن السياق النفسي والاجتماعي والسياسي للزمن وتفاعلات الاحداث الكبرى في التأريخ .

* اليقظة العربية (الفكرية – الحضارية)

لذلك لابد من الانطلاق من (نقطة جوهرية) تبدأ مع بداية (ابن خلدون بالذات) ورغم انها لا تثير أية إشكالية تأريخية ، فهي مثار لشكل جديد من التفكير الثقافي ، هذه النقطة هي في جوهرها (علة مشتركة) بين حالتي (الانحطاط والانقلاب) في الجوهر الفكري والحضاري للثقافة العربية ، ذلك لان بن خلدون لم يعلل عوامل الانحطاط فحسب بل «وضع نهاية أو حداً لحالة الانحطاط الفكري والحضاري»[1] وهي برأيي نهاية لبداية اليقظة الذاتية والوعي العربي الجديد لعوامل وظروف الانحطاط في مقابل عوامل وظروف الانقلاب في آن واحد ، و «هذه الواقعة الثقافية الضخمة التي رافقت إستعمار الغرب للشرق : واقعة الاتصال بالمدنية الغربية ، التي خلقت حالة من التوتر الثقافي والعقلي النامي باطراد ، وصراعا مازال فيه (البحث عن الذات) وتحديد الهوية هو الشاغل الاكبر الى أيامنا هذه»[2] .

---

١ – أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث/الدكتور فهمي جدعان/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/بيروت/الطبعة الأولى/١٩٧٩/ص ٩ .

٢ – المصدر السابق/ص ١٠ .

ومن هذه الواقعة – إتخذ الوعي العربي أشكالا مختلفة من التناقض الايجابي الخلاق مع قوى التخلف والاستعمار الحضاري ، فالوعي الفكري سبق الوعي الادبي ، كما أن الوعي الادبي سبق – الوعي السياسي ، وبالتالي فان «دور الثقافة العربية واللغة العربية كبير في تكوين الامة العربية . فان إتجه الوعي العربي الى تكوين نهضة فكرية ببعث أدب العرب وتراثهم فان العرب يجدون فيه شخصيتهم التأريخية وذاتهم وإستيعابا كاملا لدورهم التأريخي»[٣] .

واذا كان بعض المفكرين يرى بان حملة نابليون بونابرت أيقظت (مصر بصورة خاصة) من حالة الركود والجمود والسكون من ناحية ، ويرى البعض الآخر بانها بداية النهضة الحديثة في نشر وتعميم المفاهيم والتقنيات المتطورة في الوطن العربي من ناحية أخرى ، فأن بونابرت «حرص في خطته ان يجعل غزو الشخصية المصرية معركته الكبرى بل أنه أعطى لهذه الحملة النفسية أهمية فاقت أهمية السلاح والجنود»[٤] وبذلك كانت بداية أيضاً لغزو الشخصية العربية وإفراغ محتواها القيمي باسلوب (نفسي – سياسي) .

وإمتدادا لذلك فقد تطور الغزو والاحتلال الاوربي – الاستعماري لمصر والمغرب العربي الى منستوى آخر من الهيمنة والقهر والاستلاب الوطني والقومي . في مقابل حدة وتصاعد اليقظة الدينية والثقافية التي تزعمها جمال‌الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده ، وخصوصا في دعوتها الى وحدة الشعب العربي الاسلامي ، أما في المشرق العربي فقد «تنبه العرب بطبيعة الحال الى الخطر المحدق بهم ودفعهم الى المعارضة الفعالة جهرة وخفية معا»[٥] .

ورغم ان بداية اليقظة العربية –كانت بمثابة يقظة ثقافية على المنستوى الفكري إلا انها محكومة بالمشاعر والاحساسات والافكار العفوية في مواجهة الغزو والاستنزاف

---

٣ – دراسات في الوطن العربي (الحركات الثورية والسياسية الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي/الدكتور محي الدين توفيق/السيد صلاح الدين أمين/منشورات دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/١٩٧٣/ص ٥٤ .

٤ – معارك العرب ضد الغزاة/محمد عمارة/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/بيروت/١٩٧٢/ص ١١٤ .

٥ – دراسات في الوطن العربي (الحركات الثورية والسياسية) المصدر السابق/ص ٥٢ .

والتشويه الثقافي ، كما لم تكن متبلورة بوعي إيديولوجي شمولي مسبق من حيث التنظيم والتخطيط والاستراتيجية على المستوى العملي ، ومع ذلك «كانت النهضة ، في الدرجة الاولى ، نهضة مثقفين – كانوا جميعا ، على تباين نظراتهم وإختلاف أساليبهم ، منخرطين في معركة الاحياء والنهوض»[٦] من خلال التركيز على خصائص ومقومات اللغة والتراث والتأريخ العربي .

* **النهضة العربية (القومية – التحررية)**

أما النهضة العربية (القومية – التحررية) فقد بدأت «تعبر عن محتواها الايجابي لاول مرة مع بداية تقلص المد الفاشي ، وتراجع قوات المحور ، وفشل حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق وعزيز المصري في مصر ، أي بعد عام ١٩٤٣ ، ففي هذه المرحلة بدأ الصراع بين حركة التحرر العربي وبين الاستعمار الغربي يأخذ مستوى جديدا» وكانت حركة النهضة «حركة تحرر وتجدد وانبعاث داخلي والتقاء حر بتطور العالم الاشتراكي»[٧] .

وفي هذه المرحلة – تمخضت إنعكاسات الحرب الكونية عن مؤثرات نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية في الواقع العربي ، وقد إنطوت هذه الانعكاسات على متناقضات رئيسية احدثت متغيرات متباينة في طبيعة وبنية وكيان المجتمع العربي ، ورغم عوامل وظروف التخلف والتجزئة والاستعمار ، فقد كانت بداية جديدة لنقل (الصراع الجوهري) الى مستوى جديد من الصدام الوطني والقومي مع قوى التخلف والاستعمار الحضاري «وبالتالي نقل النضال العربي الى مرحلة جديدة متطورة ومتصاعدة»[٨] ومع ان الصراع إتخذ إتجاهات حادة وعميقة ، فهو يتوحد في انه (صراع قومي حضاري مصيري) مع القوى الاستعمارية المزدوجة (الامبريالية

---

٦ – حركية الأبداع/دراسات في الأدب العربي الحديث/الدكتورة خالدة سعيد/دار العودة – بيروت/الطبعة الأولى ١٩٧٩/ص ٤١ .

٧ – في الثقافة والحضارة/الدكتور الياس فرح/منشورات وزارة الثقافة والأعلام/بغداد ١٩٧٩/ص ١٩٣ .

٨ – المصدر السابق/ص ١٩٦ .

الصهيونية) بالاساس ، وتمخض هذا الصراع عن ثلاث حروب متعاقبة خلخلت وقومت (الذات العربية) في آن واحد.

وأية مداخلة (فكرية – نقدية) بين ثقافة (نكبة ١٩٤٨) و (هزيمة عام ١٩٦٧) (وإنكفاء عام ١٩٧٣) تقودنا الى ان الثقافة «لم تكن تستوعب مقولة الصراع السياسي»[٩] بصورة خاصة ، ولم تكن تستوعب مقولة الصراع الحضاري بصورة عامة ، بحيث كانت العلاقة مهزوزة بينها وبين «خط سير الأمة» من جانب ، وكذلك متخلخلة بينها وبين «مصير الأمة» من جانب آخر ، وبذلك كانت ثقافة مهزوزة منكوبة منكفئة على ذاتها ، ومن ثم فهي تعبير عن مثقف عربي يعاني من عقدة مركبة من (الانفصام عن النفس وانفصال عن الواقع) ، وبالتالي فهي أزمة وعي آيديولوجي ثوري . . أزمة واقع موضوعي شامل[١٠] .

---

٩ – دور المثقف العربي في المرحلة الراهنة/الثورة العربية – جريدة الحزب الداخلية/العدد (٧ /١٢) ١٩٦٩ .

١٠ – الصراع والوعي القومي الحضاري/الكاتب/مجلة آفاق عربية/العدد الثامن/نيسان/١٩٨٧/ص ٥٢ ، ٦١ .

١ – طبيعة التصور الفكري

ثمة محاور ثقافية تقليدية مختلفة – يمكن أن تقودنا بسهولة الى الأوجه المتداخلة والمتمايزة بين (ثقافة الصراع) و (صراع الثقافة) ، ومن هذه المحاور (ما هي) مهمة المثقف ؟ و (ما هو) دور المثقف ؟ و (أين) يقف المثقف ؟ و (ما الذي) يجب على المثقف ؟ وخصوصا في هذه المرحلة التأريخية الراهنة .

إلا انني آثرت اختيار طريق آخر يقودنا عبر تدرجات متباينة من الوعي الفكري من خلال رؤية تتحسس اللحظات الزمنية المكثفة للثقافة في الصراع ، وما تمخض عنه الصراع من مؤثرات نفسية واجتماعية على الثقافة ، وكيف وضعها في مخاض جديد لولادة مرحلة جديدة ، وهذه المرحلة هي «مرحلة ثورية شاملة ومتكاملة – ومعاييرها جديدة وحاسمة لانها مرحلة (بطولية) يفتتحها (جيل بطولي) كما ان «المستوى المطلوب للنهوض بعبئ المرحلة الجديدة لم يعد يستقيم مع جدول القيم الذي كان يحكم الحياة السياسية . (فالسياسة) حسب منطق المرحلة الجديدة ، لم تعد معزولة عن (قيم البطولة) . و (العاطفة الوطنية) لم تعد (مجرد كره للاجنبي) بل إرتبطت بحاجات اليقظة الشاملة للشخصية والنهضة العميقة للأمة»[١١] .

ورغم صعوبة هذا المحور ، إلا أنه الطريق الوحيد الذي يمكن الانتقال من خلاله من السؤال التقليدي عن (ماهية وطبيعة التفكير الثقافي ؟) الى سؤال آخر عن (كيفية

١١ – قراءة منهجية في كتاب/في سبيل البعث/الجزء الأول الدكتور اليأي فرح/منشورات وزارة الثقافة والأعلام/بغداد ١٩٨١/ص ٣٣ .

ونوعية التفكير الثقافي) وخصوصا على مستوى علاقة الفكر بـ (تجربة أو ظاهرة الحرب) ، وهذه العلاقة – بما في ذلك (درجة القوة والتفاعل والنضوج) هي بمثابة المدخل الجدلي الحيوي الى (ثقافة الصراع) مع قوى القهر الوطني (السياسي – الاجتماعي) ، ومن ثم الى (صراع الثقافة) مع قوى الاستلاب القومي (الفكري – الحضاري) ، وذلك إنطلاقا من أن الحرب) كانت بمثابة فتح جديد لطريق قومي جديد أيضاً للانتقال بالثقافة من (حالة الاستلهام والمحاكاة التقليدية) الى (حالة الاستكشاف والاستيعاب العلمية) أي بمعنى الانتقال من (الوعي الفكري بقوانين حركة الواقع وتطور الحياة) الى الممارسة العلمية في (توجيه حركة الواقع والتأثير في مجرى قوانين تطور الحياة نفسها) .

ومن هنا – فالتوجه (نحو) طريق ثقافي قومي جديد ، يأتي نتيجة إستجابة حية لـ «قادسية صدام» بالذات باعتبارها «حادثة قومية حضارية ضخمة» يشكل فيها الوعي الايديولوجي (الثوري – العقلاني) أسبق أشكال الوعي الفكري والادبي والفني ، ذلك لانها خلاصة (حادثة تأريخية) تشكل جوابا (استراتيجيا – تاريخيا) على التحديات الراهنة ، كما انها الرد القومي الحضاري على النكبات والهزائم والانكسارات ومحتوياتها السلبية (السياسية والاجتماعية والعسكرية) التي مرت في حياة الامة العربية ، وهكذا «فان – النهضة العربية – تدخل من خلال قادسية صدام ، مرحلة (المعركة الدائمة) مع كل موروث الانحطاط ، والقوى المعادية للنهضة ، أي مرحلة المعركة المنتصرة على الذات ، والرادعة للعدو ، المسترجعة للحقوق ، المحققة لشروط ولادة جديدة للمجتمع العربي ، لذلك فان الذي يرسم حدود العراق اليوم ، ليست الحدود السياسية لواقع التجزئة القومية ، بل ان حدود العراق أصبحت مرسومة داخل ضمير كل من يعيش على الأرض العربية ، لان العراق أصبح وطنا للقضية العربية ، وللعرب جميعا . فهو لم يعد جزءا من كل ، بل أصبح كلا ، يضم الامة المقاتلة ، الامة المنبعثة من جديد»[١٢] .

---

١٢ – ولادة البعث .. ولادة قادسية صدام/الدكتور الياس فرح/جريدة الثورة/بتاريخ ١٩٨١/١٢/٧ .

وبما ان التجديد قانون حتمي للحياة بفعل متغيرات الاحداث الكبرى في الواقع والحياة والتاريخ ، فهو في جوهره هم نفسي وفكري واجتماعي ونضالي ، ذلك لان «نزعات التجديد كانت في أساسها مظهرا من مظاهر تدخل المثقفين لتحريك سياق التطور»[١٣] أي بمعنى « نحن بحاجة الى مثقفين جدد . . مثقفي الثورة العربية الاشتراكية»[١٤] وهذا النوع من المثقفين هم وحدهم القادرون على نقل وتعميق (الثقافة القومية الاشتراكية) في الوسط الجماهيري ، بل ومن الوسط الجماهيري تنمو وتتكون وتتقدم (الثقافة) فاعلة في قيادة الاحداث وغير منفعلة بها أو منقادة لها .

اذن فالتوجه نحو طريق ثقافي قومي جديد – اعني به الاحساس بالحاجة الى (وعي ثقافي قومي جديد) لاكتشاف متناقضات الذات العربية ، وكيفية مواجهة هذه الذات لعدوها ، وهذا الوعي تعبير جدلي عن الترابط الحي بين الفكر النظري والسلوك العملي ، أي بمعنى (ان كل ثقافة تنحصر في الذهن والتفكير فقط دون مشاركة فعلية وعملية ليست ثقافة ناقصة فحسب ، بل هي ثقافة مختلقة ومنحرفة من اساسها لان عنصر العمل مفقود فيها» .[١٥]

كما ان ثقافة الطريق القومي الجديد – ثقافة غير منفصمة عن النفس بل هي تعبير ضمني عن الجوهر النفسي ، وغير منفصلة عن الواقع بل هي ترتبط أشد الارتباط بالواقع ، وهي بذلك تخوض معركة ثنائية بين مجالدة أهواء النفس ومغالبة قوى الزمن ، أي انها ثقافة مناضلة « لان غاية النضال ليس هو الانتصار على العدو الخارجي فقط ، فبالاضافة الى هذا (المعيار الموضوعي) المستمد من عالم الاشياء ، هناك (معيار ذاتي) ومعيار قيمي اخلاقي ، يتركز في شمول غاية النضال لحاجات الانتصار على مواطن الضعف داخل الشخصية العربية ، وبعث هذه الشخصية من جديد ، على اساس سليم لقيم جديدة» .[١٦]

---

١٣ – حركية الأبداع/المصدر السابق/ص ٤١ .

١٤ – حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم الثالث/الوطن العربي نموذجا/الدكتور طيب تيزيني/دار دمشق للطباعة والنشر/الطبعة الثالثة/ص ٣٤٢ .

١٥ – في سبيل البعث/ميشيل عفلق/الطبعة التاسعة عشر ص ٨١ .

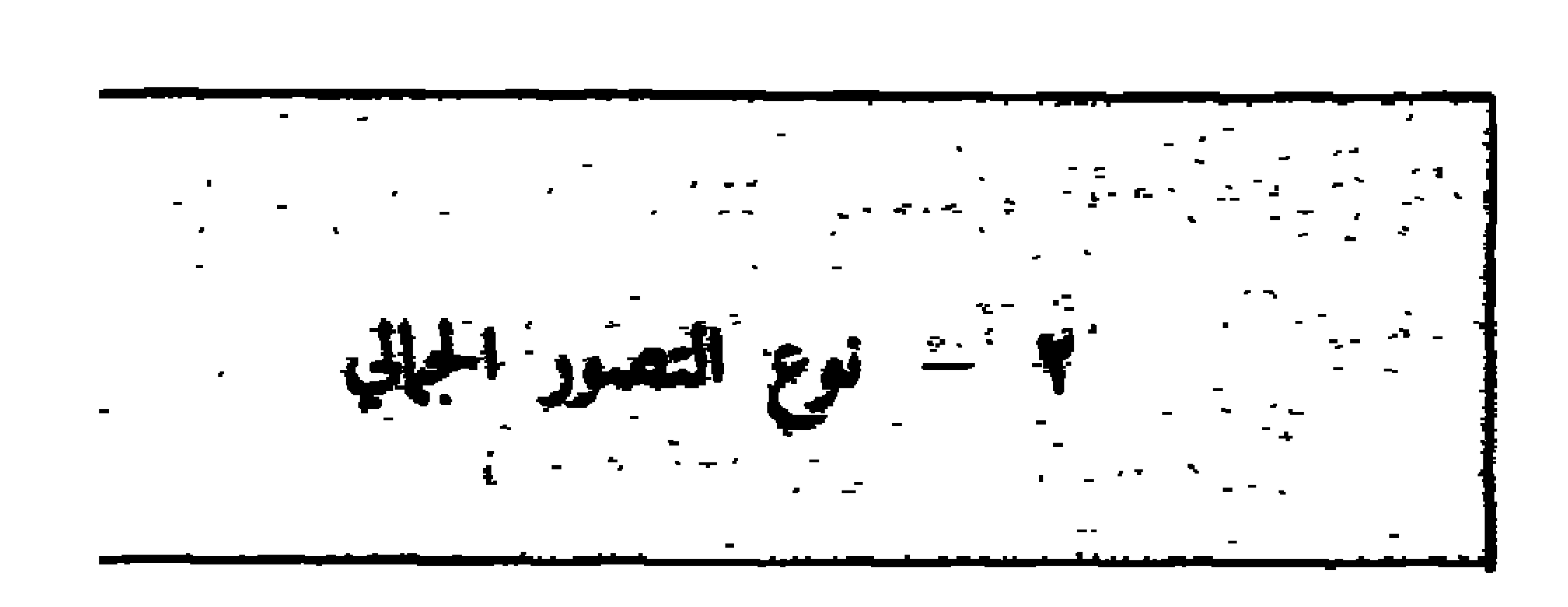
١٦ – قراءة منهجية في كتاب (في سبيل البعث)/المصدر السابق/ص ١٨٣ .

ومن هنا – فان المنظور القومي – يشكل قاعدة الانطلاق الفكرية في وعي خصوصية الطريق الثقافي الجديد ، بما في ذلك إستيعاب ، ومن ثم تمثل خصائصه ومقوماته (الانقلابية بدلالاتها الثورية) في إستكمال عملية إنقلاب الذات من الداخل على عوامل الخوف واليأس والضياع النفسي والاجتماعي ، وانقلاب الأمة من الخارج على عوامل التجزئة والتخلف والاستعمار ، ذلك لان هذه العملية هي بمثابة (يقظة ذاتية) لحقيقة الفرد العربي و (إنبعاثة روحية) لحقيقة الامة العربية بعد قرون من الضعف والانقسام والاحباط .

كما ان الفكر القومي (والفكر القومي الاشتراكي بالذات) : ذا منهج جدلي علمي تاريخي قوامه بساطة وعمق وقوة الفكرة والتجربة والنضال ، وتتلخص فلسفته في كلمة موجزة هي « ثقة الامة بنفسها» ، بحيث تترابط فيه المعاناة الذاتية – بالاجتماعية ، والقومية – بالانسانية في وحدة كلية حية متطورة على الدوام ، ولهذا كان يؤشر بأستمرار بأن الثقافة لا يمكن أن تكون مستقلة (أي متحررة سيكولوجيا) من مختلف أشكال السيطرة والهيمنة والتبعية ، ولا يمكن ان تستعيد ملامح هويتها الشخصية من مختلف أشكال الغزو والتشويه والاستلاب الثقافي ، ولا يمكن ان ينمو ويتشكل وجودها الحيوي من جديد (من داخل مرحلة الانحطاط)– كل ذلك لا يمكن ان يتحقق عن طريق الافكار النظرية وحدها دون ممارسات عملية ، ودون ان ترتبط هذه الافكار المستمدة من الواقع بالمعاناة اليومية والحياتية (الذاتية – الاجتماعية) و (القومية – الانسانية) المتفاعلة والفاعلة في الواقع العربي والعالمي ، لكي تنطوي هذه الافكار على عوامل (فاعلة – دافعة) من خلال الانحياز الايجابي المبدئي لجماليات الحياة والتناقض الايجابي الخلاق مع مرارة الواقع وعدم الاستسلام له .

ومن (الطريق القومي الاشتراكي الخاص) يبدأ (الطريق الثقافي القومي الجديد الخاص) أيضا ، والذي يفضي ب (الثقافة) الى ساحة نضال حقيقة ، يمارس فيها المثقف أدق واصعب لحظات (الصراع الجوهري)من خلال إكتشاف ذاته من

ناحية ، ومعرفة عدوه من ناحية اخرى ، وبالتالي امتلاك القدرة على تحقيق اللحظات التاريخية المتفردة (وأقصد بذلك لحظات التحول والتغيير والتقدم) على ما هو سائد من افكار وتصورات ومعالجات تقليدية .



٢ – نوع التصور الجمالي

وبما ان جوهر العمل الثقافي لهذا الطريق– ينطلق من القاعدة الفكرية (القومية الاشتراكية) ، فان الجمال هنا – تعبير حيوي عن الوعي والاحساس بالحقيقة (الفنية – الفكرية) ، أي بمعنى ثمة «جانب إنساني عميق يتصل بالقيم الجمالية التي هي ، بحد ذاتها قيم إنسانية حضارية»[١٧] وهي قيم متحركة وغير ساكنة ، بحيث تمتد في اعماق الزمن ، وتتجدد مع حركة الزمن ، لانها قيم مترامنة ومتقادمة بفعل كونها تمتلك عناصر التحدي والقوة والبقاء باستمرار ، وهي بذلك تشكل حقيقة فنية « يتم التوصل إليها عن طريق المعاناة دائما»[١٨] ومثلما هذه «الحقيقة هي مقياس الشجاعة» فهي « مقياس الموهبة أيضا»[١٩] .

والحقيقة الجمالية هنا – هي إكتشاف وتجسيد لآلام وآمال (نفسية – إبداعية) تترابط فيها حقيقة الفرد . . بحقيقة المجتمع . . وحقيقة الأمة بحقيقة العالم ، ويتم التعبير عنها بصدق ، وصدق فني .

---

١٧ – في الثقافة والحضارة/المصدر السابق/ص ١٩٣ .

١٨ – الواقعية اليوم . . وأبدا/بوريس بورسوف/منشورات وزارة الأعلام/بغداد ١٩٧٤/ص ١١٤ .

١٩ – المصدر السابق/ص ١١٩ .

وجمالية هذه الحقيقة – هي جمالية حيوية ، بحيث تأتي إستجابة حية لوعي فني يتقدم الوعي الفكري ويستوعبه في آن ، لانها جمالية تنمو وتتشكل وفق طاقة دينامية قائمة على (بساطة وعمق) الافعال وردود الافعال المؤثرة والمتأثرة بحركة الواقع (المنظورة منها والمحسوسة) ذلك «لان تاريخ الافكار الجمالية عبر العصور ماهو إلا تاريخ ولادة وتكون»[20] وكان الجمال « مرتبطا أشد الارتباط بالعمل الفني المرتبط بدوره بالأشياء الواقعية»[21] نفسها .

واذا كانت الافكار تسبق دائما الرؤي الفنية ، فان «جماليات الفن ذات ارتباط صميمي بالحركة الاجتماعية وبحركة النضال القومي . . وتكون تماما ، كالجسد : ملامحه ترتبط بمعانيه إرتباطا عميقا ، وبحركته وحيويته ونشاطه»[22] ذلك لان طاقة الفن تكمن دائما في حقيقته الجمالية المتمثلة ب(الصدق – القوة) كشكل (تعبيري أو إيحائي) أساسي وفاعل على مستوى التقدم .والتغيير والتحرير الذاتي والاجتماعي والقومي للانسان والمجتمع والأمة .

فالجمال هنا – لغة فاعلة وغير منفعلة ، واسلوب معبر عن الانسان باعتباره (قيمة عليا) في حياة المجتمع والامة . وحركة متناقضة خلاقة لحالة التوتر العميق بين الذات والواقع ، وقوة ما دافعة محركة لقوانين حركة (الصراع الجوهري) ، ومسيطرة على اتجاهات الصراع نفسه ، وذلك عن طريق خلق العديدمن الصدمات النفسية والاجتماعية مع متناقضات الواقع العربي لذلك فا«الامر الاهم من عدد هذه الصدمات – هو نوعيتها الجمالية وسعة شمولها للواقع وعمقها» .[23] كما ان «الكاتب العميق القيم لا يقف خارج الصدام وفوقه ، إنه نفسه مساهم في الصدام ومسؤول عن حله . فالصدام موجود فيه . وهو موجود في الصدام»[24] .

٢٠ – موجز تاريخ النظريات الجمالية/تأليف . اوفسيانيكوف/ز . سميرنوفا/تعريب باسم السقا/دار الفارابي/بيروت ١٩٧٩ ص ٧ .

٢١ – المصدر السابق/ص ٩١ .

٢٢ – في الثقافة والحضارة/المصدر السابق/ص ١٩٢ .

٢٣ – الأنعكاس والفعل (ديالكتيك الواقعية في الأبداع الفني) هورست ريدكر/تعريب الدكتور فؤاد مرعي/دار الجماهير – دمشق ١٩٧٧/ص ١١٢ .

٢٤ – المصدر السابق/ص ١٠٩ .

وبالتالي فان عناصر (الجمال) الاساسية تنشأ وتتكون من الألم والنضال ، الانكسار والتجاوز ، الهدوء والتوتر ، الاستقرار والقلق ، والأمل والخيبة ، الاندفاع والاحباط ، المرارة والزهو ، وهي بذلك معاناو (نفسية – فكرية – نضالية – إنسانية – جمالية) بالاساس ، لانها ترتبط بالواقع ولا تنفصل عن حركة الحياة ، فالألم فيها – هو الألم المبدع الخلاق ، والقلق فيها هو «القلق الايجابي ، القلق السليم ، البعيد عن اليأس ، البعيد عن مرض النفس ، القلق الخلاق»[٢٥] .

وكذلك العناصر الأخرى الباعثه على الخلق والدافعة الى التجاوز ، لانها عناصر لا يمكن استيعابها ومن ثم تجسيدها الا من خلال إمتلاك التجربة الانسانية المستخلصة من حياة الفرد العربي وحياة الامة العربية .

ومن هنا فان التصور الجمالي لهذه المعاناة هي بمثابة – مطهر من أدران التخلف والجمود ، ومطهر للنفس من ترسبات الخوف والتردد ، واختبار صعب للذات على محك التجربة ، أي بمعنى كيف يتجاوز الانسان نفسه ، ويجالد نزعاته وأمراضه الداخلية ، وكيف ينهض بواقعة ويتغلب على امراضه الخارجية .

وما يجعل هذه المعاناة – موحية ومعبرة بمحتواها الانساني الشامل كونها مزيج من الهموم والعذابات والآلام النفسية والاجتماعية والسياسية ، ولهذا فهي تشكل معاني ودلالات حية للمعاناة النضالية –تلك المعاناة التي تمثل أعلى شكل من أشكال الوعي الفكري لحركة النضال مع النفس من ناحية ، ومع الواقع من ناحية اخرى ، وهنا تكمن قيمتها الجمالية باعتبارها قيمة حسية وشعورية وفكرية تكشف في جوهرها – مدى قوة وعمق وحيوية واصالة الروح القومية الانسانية .

وقد يتبادر الى الذهن – بان تصوري هذا لا يعني ب (الجمال) بماهيته الفنية التفصيلية (اللغة – الاسلوب – المعالجة– التكتيك – . . .الخ) ، لهذا اقول بأن أي شكل جمالي لا ينفصل عن تفاصيل المضمون الفكري ، ذلك لان العلاقة بينهما علاقة

---

٢٥ – البعث والتراث/ميشيل عفلق/ص ٦٧ ، ٦٩ .

جدلية حية متوازنة متفاعلة متبادلة بين المتعة (اللذة الجمالية) والهدف (الغاية الفكرية) [٢٦] .

* **مداخلة فكرية بين طبيعة التصور الفكري ونوع التصور الجمالي**

لقد كانت قادسية صدام خلاصة حادث تاريخي متسلسل من المتغيرات النفسية والاجتماعية والسياسية ، ولانه حادث تارخي جديد ، فقد وضع (المثقف بشكل عام و (المبدع) بشكل خاص أمام حالة جديدة من الوعي الجدلي (السياسي – الثقافي) ، وبذلك كان الوعي الثقافي للصراع – حالة تعبير عن الجوهر السياسي لعقل الثورة ، والذي هو في جوهره (عقل قومي حضاري) ، والثقافة هنا هي جزء لايتجزاء من هذا العقل ، باعتبارها (أي الثقافة)عاملا مهما من العوامل المحركة لقوى التقدم والتحرر العلمي والاجتماعي والسياسي ، والدافعة لحالات النهوض والانبعاث العربي .

ومع ان قادسية صدام هي – محصلة لمعاناة وطنية وقومية ، بمعنى الكابدة النضالية في مجالدة النفس ومنازعة قوى العدو في آن واحد ،وذلك لتحرير (الذات العربية) من عوامل وظروف التخلف والتجزئة والاستعمار ، فان الثقافة المستخلصة من معطيات وقيم ومبادئ الصراع هي (لغة صعبة من طراز خاص) تجمع بين الفكر والسلوك ، وهي مزيج نفسي ونضالي بين الافكار والمعاناة ، بين الوقائع اليومية والاحساسات الزمنية ، ومعنى ذلك أن لغة الثقافة هنا – تعبير حي عن لغة (القتال أو الصراع) مع العدو لان «القتال فعل مركب»كما «انه تجسيد بالغ التعقيد لعديد من الافعال والاعمال تشاركت في صنعه وأسهمت في صياغته : المقاتل والسلاح

---

٢٦ – ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (الأسس الجمالية في النقد الأدبي – عرض وتفسير ومقارنة) الصادر عن دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة ١٩٧٤/ان «الذين إهتموا بالتأمل كالآمدي أو الحرية كالقاضي الجرجاني أو الفكرة كعبد القاهر لم يخرجوا من قيود الصفة ، ولكنهم أضافوا اليها ما يدرك بالبصيرة فخففوا من وطأة هذه القيود ، وبعثوا في تلك القواعد شيئاً من الروح ولكنهم كانوا يبدأون دائماً من منطقة الجمال الشكلي أو الظاهري ، أو الجمال الحر الذي يتمتع دون مفهوم ودون غاية» ص ١٧١ – ١٧٢ .

والهدف»[٢٧] وهذه هي الابعاد الثلاثة للحرب ، اذن فاللغة الثقافية – هي لغة لتعميق اهداف المعركة وتوسيع لافاقها من خلال الترابط الجدلي بين (الذاتي) الخاص و (الموضوعي) العام بمفردات ذات دلالات ، ودلالات محسوسة وملموسة على مستوى حركة الابداع في التعامل (الفكري – الجمالي) مع الانسان والواقع والعصر.

وخلال الحرب – انتقلت الثقافة (من حيث الوعي الفكري) من إنفعالية المشاعر والاحاسيس والعواطف الذاتية الى مستوى آخرى من المعاناة والهموم والتطلعات الاجتماعية ، وبذلك كانت الانتقالة تجاوبا حيا مع المتغيرات الجوهرية التي احدثتها الحرب في البنى الشخصية والاجتماعية للفرد والمجتمع ، لانها (أول حادثة وطنية قومية تاريخية) إستعاد فيها المثقف العراقي خاصة والعربي عامة الثقة بالنفس والايمان بقدرة الامة على تجاوز حالات النكوص القومي ، لذلك كانت هذه التجربة فاتحة لحالة جديدة من (التفكير الثقافي) بشكل خاص.

ورغم نوعية وحجم المعطيات التاريخية للحرب ، فان الثقافة (الانواع الادبية والفنية خاصة) لم تستوعب العوامل والمتغيرات (المنظورة منها والمحسوسة) التي تنمو وتتفاعل داخل الكيان الذاتي للشخصية العراقية ، ولهذا جاءت هذه الانواع محكومة بالحماس العاطفي المنفعل بهذه العوامل والمتغيرات ضمن الاطار غير الجوهري للشخصية ذاتها ، الى درجة الارتفاع بها الى مستوى الحس الاسطوري أو ما فوق الواقع في أغلب الاحيان.

لذلك كان المثقف (وخصوصا المبدع) يقودنا الى عوالم وصفية كما لو أنه مصور فوتوغرافي بارع ، وكأن العملية الادبية والفنية عبارة عن نقل فوتوغرافي في تصوير وتأطير الوقائع اليومية ،علما بان هذه الوقائع تنم عن روح داخلية مشحونة بقوة وصدق وبساطة الدفاع والاندفاع الذاتي ومع هذا فان البعض من هذه العوالم لا تفتقد الى الوعي والاحساس ، ولكنها تفتقد الى التصور الجمالي في التعامل الروحي مع (القوى النفسية الخلاقة) لهذه الشخصية ، وهي تقاتل على عدة مستويات مختلفة :

---

٢٧ – أدب الحرب/حنامينا – الدكتورة نجاح العطار/.

دفاعا عن أرضية الذات وتحريرا لها أولا ، ومجابهة الذات الاخرى وتثقيفا لها ثانيا .

ومع ان الثقافة – تمتلك كما قلنا (الوعي والاحساس) بواقع مستلزمات ومتطلبات المواجهة والنهوض ، ورغم انها على درجة عالية من التصور الفكري ، الا اننا نجد بأن الابعاد (النفسية – العقائدية) للشخصية (القتالية – النضالية) في المعركة غائبة تماما في العمال الفنية والادبية ، وذلك نتيجة لغياب المعاني والدلالات الجمالية العميقة لقيم البطولة والتضحية والشهادة أو القصور في كيفية استيعابها وطريقة تناولها ، أي بمعنى حضور التصور الفكري المتقدم في مقابل غياب التصور الجمالي .

٣ – (نماذج وتطبيقات نقدية)

تقتضي الضرورة – أن أشير الى ان العلاقة بين الثقافة والحرب – علاقة جدلية حية ، ولهذا لايمكن ان نفهم هذه العلاقة إلا من خلال مفهوم الصراع ، والاتجاهات المتناقضة داخل الصراع نفسه ، وذلك لان الحرب– تجربة جديدة بالنسبة لنا أولا (وهنا أرى بأن التصورات الجمالية غير مشروطة بالقانون الحتمي لحركة الزمن ، ولكنها تبقى غير منفصلة ، عن الجوهر النفسي والاجتماعي لحركة الزمن» وبالتالي فاللحظات الابداعية – هي لحظات نفسية (زمانية – مكانية – حدثانية) . كما ان الحرب تجربة غير جديدة لنا ثانيا «وهنا أرى بأن المحك الوحيد لاختيار قوة واصالة التصورات الفكرية هي « المحك الواقعي » ومدى قدرتها على تعميق علاقتها الحيوية بمتناقضات الواقع نفسه بوعي اعمق ورؤية أشمل» وبالتالي فالتصورات الفكرية هي خلاصة إستيعاب لمتغيرات الحرب ، وتمثل لسمات المرحلة التاريخية الراهنة . لذلك فالتصورات الفكرية والجمالية لا يمكن أن تكون في مستوى (نوعي – كيفي) جديد وجاد من حيث التفكير والمعالجة إلا من خلال الربط الجدلي (النفسي – الزمني – التاريخي) لعلاقة (الفكر بالواقع – الوعي بالممارسة – التصورات بالمعاناة – النظرية بالتجربة) .

* يرى الشاعر شفيق الكمالي بأن « فن الشعر - كخلاصة جمالية كان أقل من حجم القادسية كعطاء» ويرى أيضا ومن زاوية نظر (جمالية) متقدمة من حيث الوعي الفكري في تشخيص هذه الاشكالية الشعرية - ان الشاعر بدل أن « يبحث عن تجربة مفتعلة» فهو يعيش الآن «تجربة نبيلة وإنسانية ساخنة»[٢٨] .

إذن فالحرب هي مدخل جدلي غير تقليدي في حل أية إشكالية محكومة بالبحث عن تجربة مؤكسدة على المستوى النفسي والروحي طالما ثمة طريق جديد لشكل جمالي جديد ايضا غني بالوعي والاحساس بحركة الواقع وتطور الحياة .

* ويرى حاتم محمد الصكر «اذا كانت القصيدة التقليدية قد تهيأ لها مناخ جاهز يتجسّد في التحرك نحو موضوع المعركة والتغني بمفرداتها كموضوع كلي متكامل ، فان مأزق القصيدة الحديثة - المتأتي أساساً من تميز تناولها وفنيتها - يكمن في توازن المعادلة الدقيقة بين الحداثة والوضوح التام» و«ان الشاعر في القصيدة الحديثة لا يتحرك نحو موضوع جاهز .. انه ينظر بدقة ليلتقط الرمز الفني المعبر ويجسده في صورة ذات دلالة .. ولنأخذ مثلاً على ذلك : في (البطولة) يمكن للقصيدة التقليدية أن تتغنى بالقيمة العامة وان تكرر مفردات البطولة وصورها - المألوفة منها والمستجدة - مستجيبة لوضوح مشروع تسمح به (حالةُ) البطولة لكنها لا تعنى بالمفردة ذاتها إذ كيف يبني شاعر تقليدي قصيدة في جزء من صورة البطولة بينما هو يؤسس منظراً بانوراميا عاماً ؟ !

في القصيدة الحديثة ثمة تجزئة . . توصل الى الكل . . فاذا لم يعد من واجب الشاعر ان يستعيد الصورة كاملة ، فان دوره يتجسدُ في التقاط أدق أجزائها مما يتوفر فيه شرط الدلالة الغنية على الكل مع أهلية ذلك الجزء فنياً - للتعبير عن الكل وتوصيل الاحساس الى المتلقي»[٢٩]

---

٢٨ - أستفتاء حول/الأدب والمعركة/مجلة حراس الوطن/العدد ٩/أيلول ١٩٨١/ص ٤٥ .

٢٩ - القصيدة الحديثة والمهمات الموضوعية للمعركة/صحيفة القادسية اليومية/العدد (٢٠٥) بتاريخ ١٩٨١/٤/٧ .

رغم ان هذه المداخلة تفضي بنا مباشرة الى التفريق الاكاديمي بين (القصيدة التقليدية والحديثة) بالمعنى الدقيق ، وهو تفريق غير مبرر لان القاسم المشترك بينهما هو وحدة القيمة الجمالية ، ورغم إختلاف طريقة واسلوب الصياغة والبناء والتوصيل ، فان جمالية أية قصيدة تكمن دائماً في قدرتها على الاستجابة الشعورية للحالة أولاً ، وقدرتها على تجسيد هذه الحالة بوعي فني ثانياً . .

وفي تقديري ان (القصيدة العمود) كانت اكثر إستجابة ووعياً للحرب ، ليس لان شاعرها يؤسس منظراً بانورامياً عاماً ، وليس لانه يتحرك نحو موضوع جاهز ، وتهيأ له مناخ صالح ، وليس لانه تغنى في المعركة بمفردات ترتبط من حيث بناؤها اللغوي والاسلوبي بموضوع كلي متكامل ، ليس هذا كله سبباً أساسياً في إمكانية (قصيدة العمود) في التعبير عن المعركة وخصوصا عن البطولة) كقيمة عامة بامتياز شديد الوضوح . بل لانّ قصيدة العمود بحكم طبيعتها العروضية والايقاع النفسي للعروض نفسه . أكثر قدرة على إحتواء ومن ثمة تنمية وتعميق ردود الافعال النفسية والاجتماعية والسياسية . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ان بامكان القصيدة الحديثة أن تكون على درجة عالية من الاستجابة الشعورية لحالات الحرب . وان تعبر عن هذه الحالات باي شكل من أشكال المعالجة الفنية بحكم طبيعتها العروضية والايقاع النفسي للعروض نفسه أيضاً . وبالتالي فان الاشكالية التعبيرية هنا — هي إشكالية جمالية تكمن أولاً واخيراً بكيفية تشكيل حالات الحرب من خلال توفر الشرطين الفني والنفسي في عملية التوصل الى اليقين الشعري من الجزء الى الكل ومن الخاص الى العام .

* ويقول عبد الستار ناصر «ان البعض ممن كتبوا عن المعركة كانت دوافعهم (النبيلة) غير منسجمة تماماً مع ما تقدمه المعركة . حيث لجأ العديد منهم الى تصعيد البطولات الفردية الى حدود غير مقنعة ناسين وهم يكتبون — ان الانسان إنسان في المعركة أو خارجها .. وانه مملوء بالمشاعر والاحاسيس والهواجس .. وانه أيضاً من

لحم ودم واعصاب .. وان تصعيد بطولاته الى معجزات غير معقولة لن يضيف الى القصة غير ابتعاد القراء عنها »[٣٠]

إن عدم الانسجام بين الدوافع النبيلة لبعض القصاصين مع ما تمخضت عنه الحرب من قيم بطولية – يكمن أساساً في سرعة الاستجابة القصصية المنفعلة بالحقيقة الجوهرية للمقاتل ، وهي رغم انها حالة منطقية ومشروعة جداً ، إلاّ ان (مبدأ التصعيد البطولي)الى مستوى خيالي لا معقول يرتبط بقصور الوعي الجمالي بنوعية وكيفية التصور الذي يرتفع به القاص بالبطولة الى مستوى واقعي معقول ، لا بمعنى التطابق أو التماثل ، وانما بمعنى التفاعل والتجاوز لحركة الواقع ، وبذلك تكتسب البطولة عناصر الاقناع والتحدي والاصالة .

* ويقول عادل عبد الجبار ان «القصة التي رافقت قادسية صدام منذ بدايتها الاولى – كانت قصة نابعة من حالة حماس ، حالة انتماء ، حالة توهج وتفجرّ ، ومجموعة من المسائل الداخلية الأخرى» كما «ان الحالةالواحدة حينما نريد أن نتناولها لابد لنا من التأمل فيها بما يكفي ، لا بد لنا من طبخها في مطبخ المخيلة أو الذهن لفترة معقولة من الوقت ، لابد من تحويلها أولاً الى حالة إشكالية في الداخل قبل أن نسمح لانفسنا بان نضعها على صعيد التنفيذ ، وهذه هي الملاحظة – الاساسية لدي على جميع قصص المعركة ، وبضمنها القصص التي كتبتها أنا وكتبها غيرى»[٣١] .

بداهة – ان يكون الانفعال القصصي حالة مشروعة ، بما في ذلك فورة الحماس ، وصدق الانتماء ، وحرارة التوهج بسبب سرعة إيقاع أحداث الحرب من ناحية ، وتصاعد الخط البياني للانتصارات المتلاحقة على الاعداء في جبهات القتال من ناحية أخرى ، الاّ ان ذلك لا ينبغي ان يكون إستسلاماً لحالات انفعالية مشروطة

---

٣٠ – القصة القصيرة وأدب الحرب/مجلة الأقلام/العدد (٣ ، ٤) نيسان ١٩٨٧/ندوة شارك فيها عادل عبد الجبار/عبد الخالق الركابي/عبد الستار ناصر/لطيف ناصر حسن/باسم عبد الحميد حمودي/سليم السامرائي/حاتم محمد الصكر/أدارة الندوة صلاح الأنصاري/ص ١٢ ، ١٣ .

٣١ – القصة القصيرة وأدب المعركة/المصدر السابق//ص ١٩ .

بوعي فاعل ومؤثر في الواقع نفسه ، وذلك عن طريق التفكير بان الاعمال التي ستكتب لابد أن تنطوي على عوامل متزامنة متقادمة ، وإلاّ ستفتقد قيمتها الجمالية كلما توغلت الحرب في الزمن؛ ، وكلما تجاوزتها حركة الزمن ، ومعنى ذلك ان الجانب الانساني في الاعمال الادبية والفنية لا يمكن أن يكون متجدداً دون يحتفظ بجوهره الجمالي .

* وينطلق القاص عادل كامل من رأي جورج لوكاش النقدي المتأثر هيجل عن «الرواية باعتبارها ملحمة برجوازية» ويرى بانّ«الرواية باعتبارها ملحمة قومية – تولد بفعل المناخ التاريخي لتجليات الانسان نفسه»وذلك لان «الحرب كشفت عن حقائق روائية لا بد أن تتجلى بفن يوازيها – وهي حالات ووضعيات إنسانية تمتلك قيمتها الثورية باعتبارها خلاصة لفعل قومي تاريخي سيتجلى فيه المضمون الشمولي بفن يوازيه فيما بعد»[٣٢] .

ونفهم من ذلك ان (الرواية باعتبارها ملحمة قومية(تبقى محكومة – على حد تعبير عادل كامل – بمصير مستقبلي كما لو انها لا يمكن ان تنمو وتتشكل ضمن الحاضر على الرغم من إرتباطها النفسي والاجتماعي بحركة الزمن . والا فماذا يعلل (عادل كامل) كتابة روايته المتسلسلة (الحقول الاخرى ضمن زمن الحرب ؟ هل هي جزء منفصل عن (الولادة الروائية التي ستولد في المستقبل) ؟ واذا كانت كذلك (وانا لا أعتقد بذلك) كان على الروائي ان ينتظر حتى يتحول (مشروع الرواية) الذي كتبه الى (خميرة واقعية انضج)في المستقبل ، علما بانني أرى بان (الاعمال المبدعة) تولد عبر حالات (نفسية – زمنية) مطلقة وغير محكومة بحالات وضعية(زمنية –نسبية) كاطار وقانون قسري ، لاننا نعيش الزمن ، والزمن يعيش فينا ، ولا يمكن أن ننفصل عنه او ينفصل عنا ، لانه زمن نضالي –واقعي ، اذن فهو يتحول في النضال الى «مستوى فكري نعيشه» و «المستقبل لا يعود هو الزمان الذي سيأتي» بل هو «تجسيد لصورة الأمة في وضعها السليم منذ الآن» عندما «يأتي المستقبل إلينا ، وينمو فينا ، ولا يعود

٣٢ – إستفتاء وحول الأدب والمعركة/مجلة حراس الوطن المصدر السابق .

شيئا منفصلا وخارجا عنا» .(٣٣)

* ويرى الشاعر خالد علي مصطفى «اذا تحولت الاعمال الادبية من طابعها الاستراتيجي الى طابع تكتيكي ، فانها تفقد أهميتها ، فالتكتيك متغير ، مرن ، مرحلي ، يستجيب للحاجة الآنية ، في حين يظل الاستراتيج بعيد المدى ، ذا طابع تاريخي مؤثر في المستقبل تأثيراً جوهريا ، وهذه صفة الاعمال الادبية الكبرى»(٣٤) .

وأرى بان هذه الرؤية تشكل نتيجة منطقية تماما للاعمال الادبية المحكومة بالانفعالات الاولى للمعركة ، باعتبارها استجابات إنفعالية سريعة(حدثانية)وغير قادرة على استرجاع إنفعالاتها ، ومن ثم تشكيلها بهدوء (نفسي – جمالي) ، وهذا ما يجعلها تدور ضمن الاطار التكتيكي (الاعلامي) ليس لانها محكومة بهذا النوع من الاطار قسرا ، بل لكونها تفتقد عناصر القوة والتحدي والبقاء والتجدد مع حركة الزمن بمعنى تفتقد الى الصلة الروحية – الجوهرية بحركة التاريخ والتأثير في مجراه المستقبلي ولهذا فان الطابع الاستراتيجي للادب لا يعني «بان تكون البنى الادبية محكومة باسترتيج مرحلي محدد ضمن متطلبات أو مقتضيات المتغيرات السياسية أو الاجتماعيةفي الواقع ، كما انها لا تهدف الى وضع البنى الادبية ضمن الاطر المعبرة عن الحالات الطارئة التي تفرزها حركة الواقع ، بل الاستراتيجية الادبية – هي الخطوط النوعية والكيفية للموقف الآيدولوجي المسبق في التعامل مع الزمن الجوهري والنفسي تعاملا ثوريا وبالتالي تحقيق العلاقة المطلوبة بين الافعال النضالية والاهداف المركزية في النضال ، وطبيعة التعامل هذه –تقودنا –بالضرورة الى بنى أدبية غير معبرة (زمكانيا) عن الافعال النضالية وحسب ، بل وتمتد مع حركة التاريخ لتعبر عن شمولية الاهداف المركزية في النضال» كما ان «العلاقة الجدلية بين الافعال النضالية والاهداف النضالية من خلال الاستراتيجية الادبية لا بد أن تتمخض عن قيم أدبية متزامنة ومتقادمة في آن ويمكن أن تؤسس تقاليد البطولة الانقلابية – كحقيقة متطورة وغير ثابتة أو ساكنة»(٣٥) .

٣٣ – في سبيل البعث/ميشيل عفلق/المصدر السابق/ص ١٨ ، ١٩ .

٣٤ – استفتاء حول الأدب والمعركة/مجلة حراس الوطن/المصدر السابق/ص ٤٦ .

٣٥ – الأستراتيجية الأدبية في المنظور الأنقلابي/للكاتب/جريدة اليرموك الأسبوعية/بتاريخ/٦/نيسان/١٩٨٠ .

وأرى ايضا بان (التكتيك والاستراتيج) رغم انهما من الاساليب (الثورية – السياسية) المشروعة في تيسير الشؤون الانمائية والحربية أو تنفيذ القرارات السياسية والعسكرية في ظروف معينة من السلم او الحرب ، فان الاساليب (الادبية –الفنية) من الممكن أن تكون (تكتيكية –استراتيجية) في آن واحد أي انها تشكل استجابات حية (مرحلية –تاريخية) متوازنة بين متطلبات الواقع وحاجات التطور القومي والثقافي ، وذلك بتجسيد او تعميق الشرطين (النفسي –الزمني) من خلال (وعي الماضي للحاضر واستشراف الحاضر للمستقبل) دون الوقوع في ثنائية الفصل بين (التكتيك والاستراتيج) . وخصوصا في حالات الحرب والتحول والانتقال من مستوى (سياسي ثقافي) سابق الى مستوى جديد من التعامل (الثقافي – السياسي) مع نوعية الاحداث المتفردة في التاريخ .

* ويتساءل الناقد علي مزاحم عباس بان «الحرب –فاجأت الفنانين ووضعتهم في موقف صعب فلقد جعلتهم يواجهون ربما لاول مرة – معضلة معقدة حقا هي : كيف يقدمون مسرحاً جديراً بالتعبير عن عدالة الحرب وعظمتها وعمق ابعادها وأثارها ؟ وكيف يقدمون مسرحا يتنفس أجواء الحياة التي يعيشها شعبنا وهو يخوص معركة البناء الى جانب المعركة الساخنة؟» .

ثم يقول «من الخطأ قصر علاقة المسرح بالمعركة على (كيفية واحدة) هي الكتابة التي تستلهم الحرب بالذات على رغم من أهميتها» لهذا فهو يرى أيضا بأن هناك وسيلة اخرى «وهي كتابة المسرحيات التي تمجد التمسك بالمثل الوطنية والبطولية . وتلك التي تزرع التفاؤل في وجدان الفرد وتأخذ بيده لاستقبال الحياة بثقة أكبر» . [٣٦]

إن تساؤلات علي مزاحم عباس تنطوي على إجابات ضمنية ومن هنا تأتي اهميتها في انها تتميز بالقدرة على استيعاب نوع وحجم (المعركة القومية –كحادثة تاريخية) . اضافة الى انها من ادق واصعب الحالات التي تواجه الفنان المسرحي ، وتكشف عن الفجوة الفاصلة بين (الحرب والبناء) في زمن تلتقي عند ابعاده حالة التوازن (معركة

---

٣٦ – استفتاء حول الأدب والمعركة/مجلة حراس الوطن/المصدر السابق .

البناء في مقابل معركة الاستقلال) ، وهي بذلك تلخص إشكالية فكرية هي (كيف) يتعامل المسرح مع الحرب ؟ و (هل) ينبغي ان يتعامل مع معطيات الحرب بالذات ؟ (أم) يتعامل مع مؤثرات الحرب ؟ اذن (هل) هناك طريق ثالث للمسرح في البحث عن عوامل ايجابية دافعة ومحركة في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي (للمتفرج – المشاهد) بمتغيرات ومتناقضات الحرب ؟

من الصعب أن نعطي أجابة واحدة لهذه أو تلك التساؤلات كما لا يمكن تحجيم علاقة المسرح بالحرب من خلال (كيفية واحدة)ولهذا لا بد من (كيفيات متعددة) لتحرير علاقة المسرح بالحرب من مختلف اشكال التحجر الفكري والفني ، وذلك بغية الخروج من الاطار التقليدي (النمطي) في التعامل مع الحرب ، ومن ثم تعميق وتوسيع (هذه العلاقة) بالوعي الفكري في مقابل الوعي الجمالي ، وذلك لنقلها الى مستويات تعبيرية مختلفة ، وبهذا يمكن أن تعطي هذه (الكيفيات المتعددة) للمسرح في علاقته بالحرب : حرية جمالية متبلورة بمنظور فكري واع في التفاعل والتناقض الحيوي مع معطيات ومتغيرات حركة الانسان والواقع والعصر .

* ويرى الفنان شاكر حسن ال سعيد «بأن الحرب على الصعيد (الثقافي – الحضاري) جسدت في الفنان معنى (إنسانيته) كمبدع ، وأيقظت فيه هواجسه وردته الى ذاته لكي يوغل في أستقراء أسرارها ، والبحث عن مصادر جديدة للأبداع»[٣٧] .

فالحرب هنا – بمثابة (يقظة ذاتية) في إكتشاف بمعنى تأكيد الفنان لوجوده فحسب ، بل بوعي علاقته بالواقع من خلال لغة ذات قدرة على الأكتشاف والأستيعاب التشكيلي للحرب (كمعطى – نفسي) و (تأثير – ايحائي) يأتي أستجابة حية لحساسيته (الواقعية – الفنية) وهي حساسية (متناقضة متفاعلة خلاقة) مع معطيات الواقع النفسية (الحسية والشعورية) .

---

٣٧ – أستفتاء حول الأدب والمعركة/المصدر السابق .

ولأن الحرب (واقعة وطنية وقومية ضخمة) من حيث كونها – أعادت الى الذات العربية : حالة التوازن (الذاتي – الموضوعي) فهي أذن طريق جديد للبحث عن مصادر جديدة للأبداع ، وهو طريق البحث من الذات الى الشمول ، ومن الخاص الى العام ، وبالتالي من البساطة الفنية الى العمق التعبيري .

من ثقافة الصراع الى صراع الثقافة (مؤشرات وأستنتاجات)

١ – ثقافة الصراع

لقد خلقت قادسية صدام – حالة توتر جديدة بين الأفكار والمعاناة في الحياة الثقافية ، إذ أنها كشفت للمثقف – لحظات متفردة في الواقع والحياة ، وهي لحظات فريدة من نوعها في البحث والتكوين والتشكيل الأبداعي لمفردات محسوسة وملموسة هي بطبيعتها لغة غنية بالرموز والدلالات والحيوات التعبيرية والأيحائية إلا أن هذه اللغة لم تستخدم بوعي جمالي في التعبير عن الحالة الجديدة ضمن حدود الوطن وعلى ارضية الصراع مع أنها لغة مستمدة من بساطة وقوة النفس العراقية ؛ كما أنها مستمدة أيضا من حرارة ومرارة الواقع العربي المعاش .

والثقافة هي في جوهرها – لغة الفكر – ولكنها ليست لغة فكرية مجردة من الأحساس بواقع العالم الخارجي ومحتوى العالم الداخلي (المحسوس والمعاش) ، بل هي لغة الفكر والواقع والحياة ، كما أنها (لغة الكشف والأستبصار والأستيعاب) لذلك فالوعي الجمالي المفقود في كيفية أستخدام هذه اللغة الثقافية جعل من الأعمال (الأدبية والفنية) تفتقد الى عناصر القوة والبعث والتزامن مع حركة الزمن ، ويمكن القول – أن الأعمال (الفنية والأدبية) خاصة والتي تمتلك هذه (الخصوصية الثقافية) لم تنجز بعد ، والسبب في ذلك لا يكمن في حجم المسافة الزمنية منذ بدء الحرب وحتى الآن

بل يكمن أولا في نوع الطريقة والأسلوب والمعالجة في التعامل مع الجوهر النفسي والروحي للزمن المكثف ذي المناخات وغير المستقرة ، ويكمن ثانياً في نوعية التفكير الثقافي والكيفية في طبيعة ومستوى التعامل مع الشخوص والأحداث والمتغيرات الموضوعية

أذن فاللحظات الأبداعية لا تعني : ما الذي يجب على المثقف ؟ ! بل كيف يجب أن يتعامل المثقف مع خصائص هذه الحالة الجديدة سواء من خلال معايشة الواقع أو التصور المحسوس للواقع ، لأن أية لحظة من هذه اللحظات هي (نبض أبداعي زمني) في حياة الفرد وحياة الأمة ، لأنها لحظة ذاتية متفردة لا تنفصل عن الارادة الوطنية المستقلة ، ولحظة موضوعية متفردة أيضا لا تنفصل عن إصالة الارادة القومية المستقلة أيضاً وبذلك فاللحظة (الثقافية – الأبداعية – الزمنية) هي بمثابة إكتشاف وعنصر بعث للشخصية العربية والشخصية (العراقية – النضالية) بالذات .

ونستخلص مما سبق : إن الأنتقال (من) التصوير الفوتوغرافي والتصوير غير المباشر لملامح الشخصية القتالية في الصراع من الخارج (الى) الأستيعاب المباشر للأبعاد الشخصية القتالية من الداخل – يتطلب وعيا جديدا لأدراك الحالة الجديدة والعمل على تعميق العلاقة الجدلية بين الثقافة والسلوك الأجتماعي للشخصية ، وبالتالي الخروج ببنى ثقافية (فنية أدبية) تتميز بالقدرة (الذاتية والموضوعية) المتجددة والمتزامنة مع حركة الواقع وتطور الأنسان وروح العصر.

٢ – صراع الثقافة

ومن هنا – فقادسية صدام كانت وما زالت خلاصة مخاض جديدة للثقافة في معركة وإكتشاف قدرات وإمكانيات ومكّونات الذات العربية من جانب وكذلك مخاض جديد أيضا في معرفة وإكتشاف نوع وقوى العدو ومن جانب آخر ، وبالتالي تقودنا هذه المعادلة الى (كيفية) الأنتقال بـ (الثقافة) الى مستوى نوع آخر من المعركة –

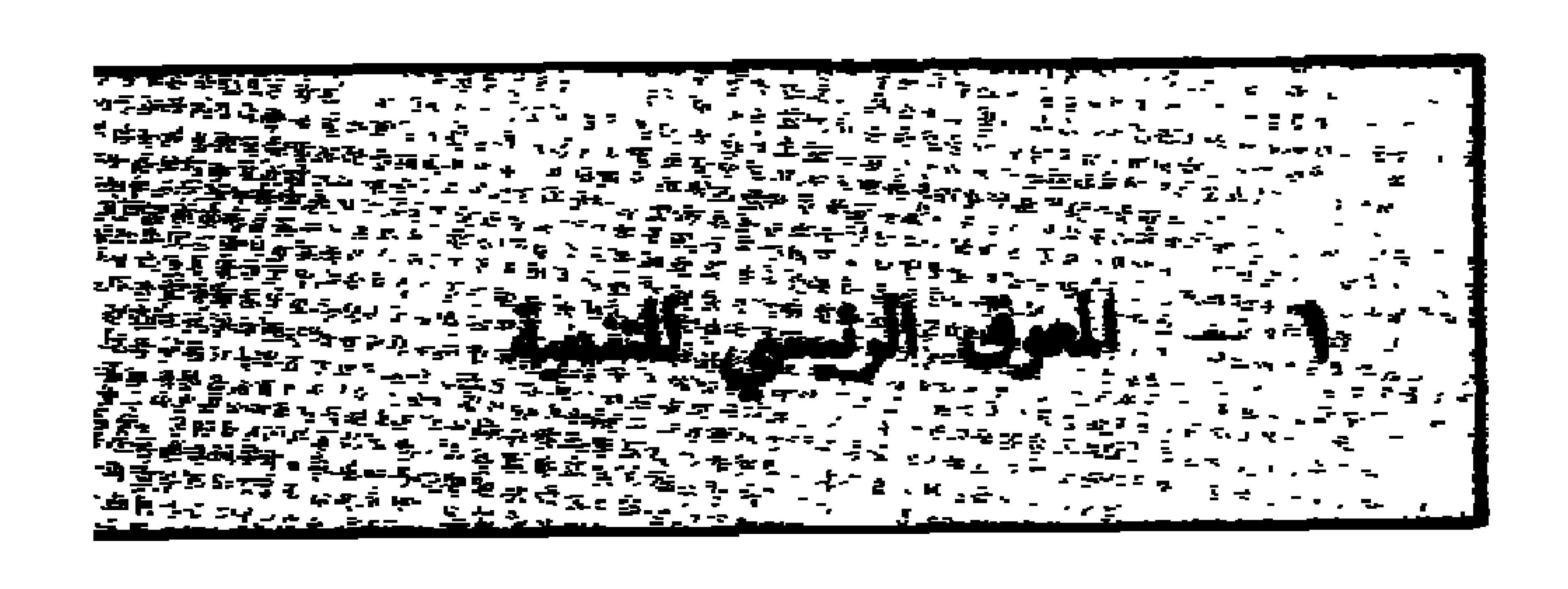
أي (صراع الثقافة نفسها) مع قوى الغزو والتشويه والأستلاب الثقافي ، بأعتبارها (أي الثقافة) سلاح من الاسلحة الفاعلة والمؤثرة في الصراع القومي الحضاري في هذه المرحلة الراهنة مع قوى التخلف والتجزئة والأستعمار.

فصراع الثقافة – ليست صراعاً فكرياً مع الأتجاهات والتيارات المشبوهة والرجعية والمضادة ، ذلك لأنه ليس صراعاً فكرياً خالصاً ، بل هو صراع حي متنام قائم على وحدة التحام الفكر بالسلوك النضالي في مواجهة المتناقضات الأساسية للذات العربية في آن واحد ، ومن خلال هذا الالتحام ترتبط المعاناة القومية بالمعاناة الأنسانية الشاملة ، وبذلك يكون صراع الثقافة خلاصة صراع ذاتي – قومي – حضاري بين التحرير الذاتي للنفس من بقايا ترسبات وتركات الواقع (الماضوي) الفاسد ، والتحرير الأجتماعي للأمة من بقايا مخلفات وآثار العهود المظلمة.

* **مداخلة عامة**

وأية مداخلة بين (ثقافة الصراع) و (صراع الثقافة) تكشف لنا عن علاقة حية (متداخلة متمايزة) في آن واحد. فثقافة الصراع – لغة فاعلة ومتفاعلة مع تغيرات الحرب وفق فهم وأستيعاب معطيات حركة الواقع بتناقضاته الجوهرية وحركة التاريخ بدوافعه الأجتماعية ، وصراع الثقافة – لا تنفصل عن مستلزمات ومتطلبات الصراع الأيجابي الدائم والمستمر مع عدو (الأمة) الرئيسي ، وهي بذلك قوة فاعلة وغير منفعلة في مواجهة الأحداث والتطورات الواقعية والتأريخية لذلك ليس ثمة ثنائية بين (ثقافة الصراع) و (صراع الثقافة) لأنهما ومن (منظور قومي أشتراكي إنساني خاص) تشكلان وحدة جدلية قائمة على التناقض الرئيسي الخلاق مع قوى ومعوقات التحرر النفسي والتقدم الأجتماعي والتطور القومي الأنساني للأمة العربية.

السياسة العلمية
وجوهر الصراع الراهن



تحرير الانسان من طوق التخلف وهيمنة الامبريالية . لا يمكن ان يتحقق الا من خلال النضال الحقيقي الدائم ضد مختلف اشكال التبعية والاستغلال والاستلاب الحضاري . فالنضال هو الطريق الوحيد لخلق وتكوين (تراكم مادي ومعرفي) . وهذا التراكم لا يمكن أن يتحقق أيضاً إلا بوجود استراتيجية تنموية شاملة قائمة على حسابات (زمنية – تأريخية) تنطلق دائماً من الربط الجدلي بين الماضي والحاضر والمستقبل من ناحية . والربط الجدلي بين مسارات الحركة التنموية وجوانب الحركة الاجتماعية من ناحية اخرى . لان التنمية هنا وان كانت عملية نفي وإلغاء وتجاوز لعوامل وظروف التخلف . فهي تنطوي على أبعاد واهداف (إجتماعية – قومية – حضارية) معقدة .

واذا كان (الاستغلال هو المعوق الرئيسي للتنمية) . فلأنه يشكل في جوهره – عملية إستلاب للكيان الذاتي ، بما في ذلك إستلاب الثقة من الذات . مع العلم ان الثقة هي الشرط الاساسي والضروري للتحرر . وكذلك (التحرر) هو شرط ضروري وأساسي للتنمية الروحية والمادية للانسان والمجتمع بالاساس .

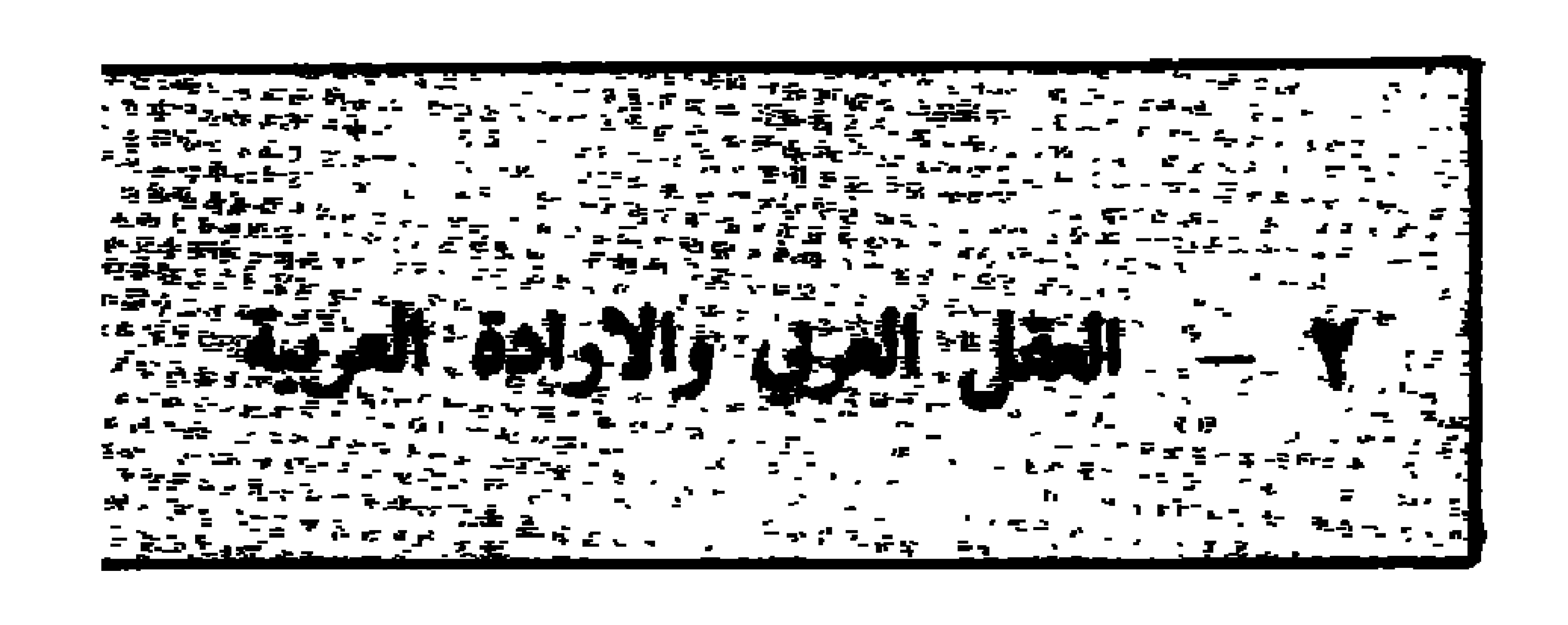
ومن هذا المنطلق – فأن الصراع مع قوى التخلف والامبريالية ليس مجرد صراع قومي فحسب ، بل هو صراع حضاري متطور ومتصاعد من حيث نوع وحجم

ومستوى التناقضات الجوهرية (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتأريخية) بين (العرب والاستعمار) . وبذلك يشكل هذا الصراع الجوهري ضرورة تأريخية لابد منها ، لأنه خلق وسيخلق باستمرار عوامل فاعلة ومحركات دافعة في عمليات تحرير وتنمية طاقات الانسان العربي . وامكانات الأمة العربية في طريق التطور والنهوض والتقدم . وكذلك في تنمية وتعميق (جوهر الصراع نفسه) ومن ثم الارتفاع به الى مستويات (نضالية — صدامية) جديدة من المواجهة والتخطي والتجاوز .

لذلك فان العمل على تحرير وتنمية طاقات الانسان من ناحية . وامكانيات الأمة من ناحية أخرى ، عن طريق العلم والتكنولوجيا بالذات ، يستوجب — كما يقول الرئيس القائد صدام حسين — الاهتمام بالتنمية كميدان تطبيقي لتنمية وتطوير الافكار العلمية والتكنولوجية الخاصة بها . وذات الصلة بخصائصنا الوطنية والقومية ، وكذلك لتوفير الاسباب الاقتصادية اللازمة لمواجهة الاحتمالات السياسية والاقتصادية والعسكرية المرتبطة بهذا التصور . أي تصور ان الصراع سيستمر بين الأمة العربية والعدو الصهيوني . ومن خلفه الأمبريالية التي تعمق هذا الصراع وتدعمه»[1] .

---

١ — نضالنا والسياسة الدولية/صدام حسين/منشورات الثورة/بغداد ١٩٧٧/ص٤٤ .



اذن فالتركيز الشديد على (العلم والتكنولوجيا) في ميدان التطبيق العلمي ، وخصوصاً ضمن قوانين حركة الصدام القومي الحضاري المباشر وغير المباشر مع قوى الاستعمار والامبريالية العالمية – يشكل قضية جوهرية من قضايا (العقل العربي) ، فرغم معرفتنا المسبقة بأن (العقل العربي) متقدم على مستوى وعي وتمثل معطيات وممكنات التغيير في الواقع ومستوعب لها . فان (الارادة العربية) مازالت متخلفة . لانها (إرادة مستلبة) بل محكومة بعوامل وظروف وأشكال متباينة من الهيمنة والتبعية والقهر والاستغلال .

وبما ان الارادة هي العنصر الحاسم (ليس في السياسة الدولية) بشكل عام فحسب ، بل وعامل حاسم في تقرير (السياسة العلمية) بشكل خاص . كما ان اي قرار سياسي علمي لا ينبثق من الفراغ . لأنه يرتبط بحسابات علمية مسبقة . وبالتالي «لا يوجد علم – كما يقول الرئيس القائد صدام حسين – يمكن ان يكون معزولا عن السياسة»[٢] .

وبذلك ليس ثمة ثنائية بين العلم والسياسة . خصوصا وان سياستنا العلمية هي خلاصة منهج علمي مسبق مستمد من طريقنا القومي الاشتراكي الخاص في التفكير

٢ – الثورة والتربية الوطنية/صدام حسين/منشورات الثورة/تموز ١٩٧٧/ص ٢٣ .

والتطبيق ، ولانه منهج خاص ، فان (خصوصية هذا المنهج) ترتبط اشد الارتباط بارادة (متحررة – مستقلة) بالدرجة الاولى والأساس .

وبما ان «الخلل المركب» في الواقع العربي يكمن في اطواق التخلف والتبعية والهيمنة ، فان هذه العوامل وغيرها تجعل أكثر الاقطار العربية مستهلكة (للتقنية والعلم والتكنولوجية) وليست صانعة لها . وهذا يعني بالتالي انعدام الاستقلال في السياسة العلمية – التنموية . لذلك فرغم المحاولات التي تجري بالاتجاه التكاملي وغير التنافري بين (العلم والتنمية) في الوطن العربي ، فأن المعوقات الأساسية تبقى ترتبط بكيفية الوصول الى سياسة علمية مستقلة تماماً من أي مؤثر أو إرتباط تبعي . لان من أهم الاشكالات القائمة حتى الآن في طريق تطور العرب وتحررهم العلمي . ولها تأثيرات حاسمة في مستقبل الصراع وتوجيه إتجاهاته الرئيسية تنحصر بأختصار شديد بثلاثة عوامل أساسية متسلسلة هي :–

(١) (إرادة مستقلة في القرار (٢) امكانيات ذاتية مبوتقة باتجاه واحد (٣) إستراتيجية تنموية شاملة وبعيدة المدى) .

إن هذه لعوامل مترابطة جدليا . واي تفاوت بينهما سيعوق حتما حركة تطور وتحرر السياسة العلمية ، وخصوصا في ميداني التصور المستقبلي ولتطبيق العملي . لهذا فان الترابط الحي القائم بين هذه العوامل (بصيغة التكامل) أو (بصيغة التفاعل) بينهما – سيخلق حركة انماء جوهرية متماسكة مترابطة بل مناهضة مناقضة لحالات الاحباط الذاتي المتاتية من عوامل وظروف التجزئة والتخلف والاستعمار . وهذه العوامل هي خلاصة طريق منهجي على صعيد التفكير والعمل والنضال لخلق (قاعدة اقتصادية متينة + قدرة دفاعية متطورة + أنماط سلوكية متقدمة) . وبذلك فان الموازنة الدقيقة بين مقتضيات التحرر ومستلزمات التقدم – هي بمثابة عملية دفع وتعميق للعوامل المتبادلة في التغيير والتأثير بين التنميات الذاتية والمتغيرات الاجتماعية .

ومن هنا (فالخلل المركب) لايكمن في مدى قصور إمكانيات العرب الذاتية . لأنها إمكانيات متكاملة بالأساس . وانما بالطريقة الكيفية في استخدام هذه الامكانيات باتجاه صحيح . وتصور شمولي لمعطيات الواقع المنظورة . وما هية متغيرات المستقبل المرسومة . وكذلك ماهية الحاجات الأساسية في التنمية والتحرر .

وبما ان العرب كانوا ومازالوا بحاجة فعلا ليس للعلم فحسب ، بل الى ممارسة تطبيقاته التقنية والتكنولوجية في تسير عمليات التنمية والى تحرير زمنهم من طوق التخلف بالذات ، فهم أمام حالة واقع جديد تتلخص بكيفية استخدام (العلم) كوسيلة تنموية تحررية .

وبغية ان تكون الاجابة على هذه (الكيفية) ذات تصور دقيق . ينبغي اعطاء تصور أساسي لمدى أهمية العلم وتأثيره في توجيه طبيعة مسار الصراع الراهن . نقول كان من أهم أسباب هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ يكمن في تخلف العرب العلمي ، بما في ذلك (التقنية والتكنولوجيا) . لذلك يقول الرئيس القائد صدام حسين «يكمن الفضل لعدوان ٥ حزيران في نقطتين أساسيتين» .

الأولى : هي بداية احترام العرب للصفحات والاحتمالات المتعددة . . في التفكير الاستراتيجي .

الثانية : بداية احترام العرب للعلم واهميته في حركة المجتمع وصولا الى الأهداف[٣] .

اذن فالعلم – ليس حاجة أساسية من حاجات التقدم الاجتماعي والتطور القومي فحسب . بل يجب وضعه دائماً في مكانه الصحيح والواقعي من الأطار الاستراتيجي للتفكير النظري والاستخدام العلمي والعملي . وذلك بغية ان يكون (وسيلة وغاية) في تنمية الانسان . بحيث ترتبط عملية (فن قيادة الانسان) للعلم – باسلوب وهدف تحرير ارادة الانسان نفسه وتفجير طاقاته الجوهرية . وبالتالي تمكينه من قيادة وتقرير نوع السياسة العلمية نفسها في الصراع وتوجيهه إتجاها إيجابيا خلاقا في البناء والتقدم والتغيير .

---

٣ – طريقنا خاص في بناء الاشتراكية/صدام حسين/منشورات مكتب الثقافة والدراسات والاعداد الحزبي/الطبعة الاولى – آيار/١٩٧٧/ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٣ – أهمية التصور الاستراتيجي في بناء المستقبل

لذلك فالعلاقة بين (الانسان والعلم) ليست علاقة ميكانيكية قائمة على إلغاء جوهر الانسان بالتسلط التكنوقراطي والاستلاب التكنولوجي ، بل هي علاقة دينامية تنموية حية . قائمة على منطق ثوري عقلاني تحرري يكون فيه الانسان دائما هو الوسيلة والغاية في آن واحد ، وذلك إنطلاقا من أهمية وضرورة التصور الاستراتيجي في بناء المستقبل . والذي يقتضي أن تستند قوانين تطور حركة العلم بقوانين تطور حركة الانسان بالدرجة الاولى . وهذا الترابط الجدلي بين (العلم والانسان) يجب ان يكون قائما على أساسيات – إستيعاب الانسان للعلم بالترابط مع خصوصية الواقع المعاش أولا ، والعمل على كيفية إستخدامه بهدف صنع وابداع حياة جديدة ثانيا . وبالتالي حضور المنظور المنهجي للسياسة على مستوى ترجمة المفردات الفكرية الى ممارسة تطبيقية حية .

من هنا ينبغي – التركيز الشديد على كيفية إستخدام (العلم) كوسيلة مركزية وأساسية في تنمية عمليات البناء والتقدم من ناحية ، وفي تنمية وتعميق حالات الصراع ، والسيطرة من خلاله على إتجاهاته الرئيسية ، وتوجيهها بالاتجاه الصائب والحقيقي من ناحية أخرى ، وذلك لمواجهة القوى الأمبريالية المضادة لحركة البناء

والتقدم الاجتماعي ، وكذلك إعاقة حركة التطور والانبعاث القومي والحضاري ، وفي مقدمة هذه القوى الحركة الصهيونية (ككيان إستيطاني) والحركة الشعوبية (كنزعة عنصرية) . وان هاتين الحركتين العنصريتين لم توجدا إلا بتخطيط إمبريالي إستراتيجي كبير يهدف الى تحطيم الارادة العربية وشل قدرتها على امكانية التحرر والتقدم والتطور والنهوض ، وكذلك العمل باستمرار على تشويه وطمس معالم الشخصية القومية الحضارية ، وبالتالي ربط إقتصاديات وطاقات وامكانيات الأمة العربية بتبعية النظام الامبريالي العالمي .

إذن كيف يتم (تحويل الصراع) الى عوامل دافعة ومحركة للتقدم العلمي ، والتطور القومي ، والانبعاث الحضاري ؟ .

يمكن القول بوضوح ودقة :

إن إستعادة الأمة العربية ثقتها بذاتها ، وتنمية امكانياتها الذاتية هو الطريق العربي الوحيد لتحرير الارادة العربية نفسها ، وذلك بتحرير (علاقات الأنتاج المتمثلة بقوى الأنتاج ووسائل الأنتاج) من مختلف أشكال التبعية والهيمنة والاستعمار المباشر وغير المباشر .

ومعنى ذلك ان إشكالية العرب ازاء العلم (التقنية والتكنولوجيا) لاتنحصر بمدى «نقل التكنولوجيا أو إكتساب التكنولوجيا» ولا تنحصر أيضاً في أن «التكنولوجيا سلعة أم معرفة» بل بكيفية تنمية النشاط العلمي والعملي بالتخطيط الأقتصادي المنظم ضمن إستراتيجية تنموية شاملة تنطوي على إجراء سلسلة متعاقبة من الموازنات الدقيقة والصحيحة بين متطلبات التنمية ومستلزمات التحرر ، وهذه الموازنات تقودنا بالضرورة الحتمية الى كيفية إستخدام العلم ، بما ذلك إستيعابه أولا ، وتكييفه ثانياً ، ووضعه دائما في الاطار الصحيح ثالثا ، وأخيراً تسييره وفق خصوصياتنا الوطنية والقومية بغية أن يكون قوة فاعلة في طريق الوصول الى بناء الانسان من جديد ومن خلال التنمية ، باعتباره أهم الأهداف الستراتيجية في عمليات البناء والتحرير والتقدم ، خصوصاً وأننا في دور التكوين والتكامل والاستقلال .

لذلك «لابد أن نضع في حسابنا – كما يقول الرئيس القائد صدام حسين – اننا لابد أن ندخل ثلاثة ميادين متداخلة من النشاط والاعداد ، تحقيقاً لدورنا المرسوم في هذه الميادين وكما يلي :

١ – ان نعد أنفسنا لان نتعامل مع التقنية والعلم ونستوعبهما بشكل جيد .

٢ – النقطة الثانية : هي تكييف التكنولوجيا وطنياً وتكييف إتجاهات إستخدام العلم ، فلا يجب ان نأخذ كل مبتكرات العلم والتكنولوجيا ونضعها في الاستخدام كما هي ، وانما نكيفها ، أو نكيف البعض منها بضوء أهدافنا وظروفنا السياسية والاجتماعية والأقتصادية وغيرها .

٣ – والنقطة الثالثة ، هي التصنيع ، أي نصنع نحن بطريقنا الخاص ، وبما يتلاءم واهدافنا الوطنية وطموحنا القومي»[٤] .

---

٤ – طريقنا خاص في بناء الاشتراكية/المصدر السابق/ص ٧٧ .

٤ – الوعي الكيفي والتخطيط التنموي في استخدام العلم

اذن قبل الدخول في ميادين (العلم) و (التقنية) و (التكنولوجيا) لابد أن يسبقها (وعي كيفي) و (تخطيط تنموي) لماهية حاجاتنا الأساسية لها من خلال حساباتنا الاستراتيجية ، أي معرفة واستيعاب أهم الحاجات التي تشكل ضرورات تنموية لابد منها لدفع حركة الانماء الشاملة باتجاه تعميق وترصين عمليات التغيير البنيوي للانسان والبناء المادي للمجتمع ، وان توضع ضمن هذه الحسابات – المصالح والأهداف – من حيث التعارض أو التلاقي مع الاستراتيجيات الدولية.

وكذلك لابد من (وعي – نوعي) لتحديد اي نوع من (العلم والتقنية والتكنولوجيا) نحن بحاجة إليه ، وكيف يمكن تكييف اتجاهات استخدامه بأساليب وطرق ناجحة (ليس في التأثير الفاعل في دفع قوانين حركة تطور المسار الاجتماعي العام بالاتجاه الايجابي فحسب) بل وفي التفاعل مع طبيعة وخصوصية ظروفنا النفسية والاجتماعية والأقتصادية والتأريخية ، وذلك إنطلاقا من أن (الوعي الكيفي والنوعي) لتكييف استخدام (العلم والتقنية والتكنولوجية) بالاتجاه التنموي الهادف . هذا الوعي – هو بالاصل غير معزول عن (التفكير الاستراتيجي الشامل) . لأنه قائم على اساس وجود إمكانيات ذاتية ، ويرتبط باهداف إستراتيجية . وان طريق الوصول بين هذه

الامكانيات وتلك الاهداف – هو طريق يقتضي ويحتمل عدة مواجهات واحتمالات مع قوى الاستعمار والامبريالية العالمية ، هذه القوى تعمل باستمرار على تعميق (الفجوة التقنية) بين العالم الثالث المتنامي والعالم الصناعي المتقدم عن طريق الابقاء على عوامل وظروف التخلف ، وتعمل أيضاً على إدامة تبعية العالم الثالث عن طريق ربط إقتصادياته بعجلة الاحتكار الرأسمالي .

لذلك فأن إستيعاب العلم كحاجة من الحاجات الاساسية ، ومن ثم تكييف إتجاهاته المطلوبة ضمن سياسة التصور الاستراتيجي لاهداف التحرر القومي الاشتراكي الحضاري – هي ضرورة قصوى من ضرورات استيعاب المحركات الجوهرية للصراع ، واستخدام وسائله ، وبالتالي السيطرة على اتجاهاته الرئيسية وتوجيهها باتجاه التعبير الحيوي والتجسيد العملي لاهدافنا الوطنية والقومية بطرق وأساليب متطورة قادرة على الارتفاع دوماً الى مستوى إحتواء متغيرات ومتناقضات صراعنا القومي المتجدد باعتباره الحقيقة الجوهرية (لتناقض الأمة الرئيسي) مع قوى ومعوقات التقدم الاجتماعي والتطور الحضاري .

كما ان السيطرة على العلم – بصيغ الاستيعاب والاستخدام والتوجيه والتكييف ضمن تصورنا الاستراتيجي البعيد المدى ، هي بالمقابل خلاصة شكل من أشكال السيطرة أيضاً على الزمن وتحويله الى قيمة مضافة من خلال إختزاله إختزالا علمياً وعملياً (لا بصيغة حرق المراحل او القفز ما فوق الواقع) ، بل (بصيغة استيعابه والتقدم عليه عن طريق وعي أبعاده الدينامية) في التفكير والتخطيط والعمل ، وذلك بهدف التعويض عن فترات التخلف المتعاقبة في حياة الفرد العربي وحياة الأمة العربية .

الثورة ..

واستخدام الزمن في التنمية والصراع

* مدخل

قبل معرفة ماهية الزمن ، وجوهر الوعي بالزمن من ناحية ، وكيفية استخدام الزمن والعمل بالزمن المضاف من ناحية أخرى ، تقتضي الضرورة المنهجية إعطاء تصور أولي لمفهوم حركة الزمن نفسه ، لذلك لابد من الاشارة الى ان هناك نوعين من الزمن :—

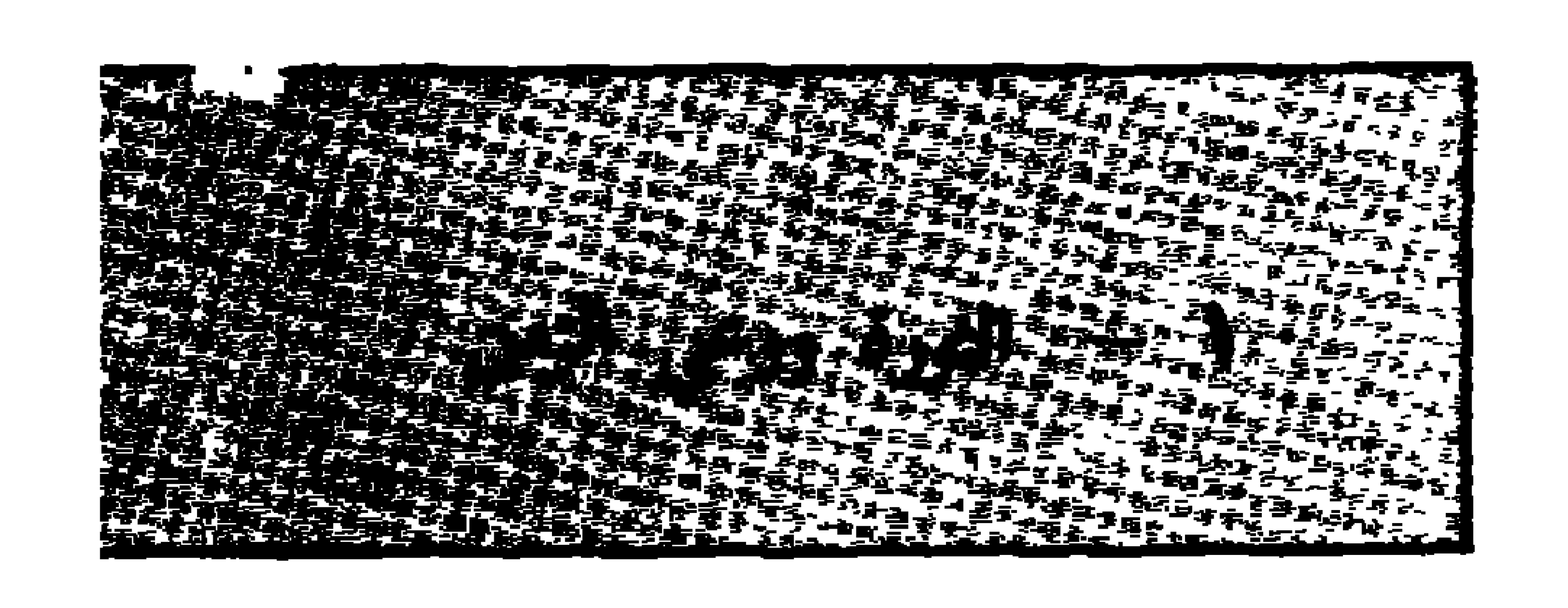
* زمن كوني يتحرك بفعل قوانين حركة الطبيعة .
* زمن حيوي يتحرك بفعل قوانين حركة الحياة .

ومن هنا — ينبغي التفريق بينهما ، حيث أن «للحياة قوانين بينها وبين قوانين الطبيعة — هذا الفرق الجوهري — قوانين الطبيعة تستكشف مرة واحدة ، وقوانين الحياة يجب على كل فرد أن يستكشفها في حياته من جديد»[1] .

وبما ان الزمن الطبيعي — هو زمن ميكانيكي محكوم بقوى ميتافيزيقية خارجة عن إرادة وجود الانسان ، فان الزمن الحياتي هو زمن ديناميكي يتحرك بحكم إرادة وجود الانسان نفسه ، وهذه الارادة هي بمثابة قوة دافعة وباعثة لحركة الواقع والحياة ، وقوة فاعلة ومحركة لعوامل نمو وتطور الفرد والمجتمع ، لهذا فان أهم خاصية من خوّاص الحياة هي نوع وطبيعة وخصوصية الحركة الحية للزمن ، ذلك لأن العلاقة بين الانسان الفاعل والزمن الحي : علاقة جدلية قوامها (الوعي بحركة التغيير) ، وللوعي هنا مهمة توجيه حركة الزمن من خلال السيطرة على قوانينه وتسيرها بالاتجاه المطلوب .

---

١ — في سبيل البعث/ميشيل عفلق/ص١٥ .



من هذا المنطلق : كانت الثورة تعبيراً عن منهج ثوري – واقعي في وعي قوانين حركة الزمن ، بحيث ان وعي الثورة للزمن كان في جوهره وعياً لمتناقضات الواقع واستيعاباً لإمكانات وعوامل التغيير الجذري والشمولي للواقع نفسه ، وقد ترجمت الثورة أشكال الوعي بالزمن الي تطبيقات ثورية فعلية على مستوى الانجاز والتحول والانتقال النوعي من حالات قديمة الى حالات جديدة متمثلة (بتحرير وبناء الانسان من جديد) ، وذلك عن طريق (إستعادة الوعي بالزمن نفسه من جديد) والعمل على تجديده في حياة الفرد وحياة الأمة من خلال إكتشاف قوانينه المحركة ، والعمل أيضاً على توظيفها واستثمارها في النشاط النضالي القومي الانساني ، بغية تحقيق (صيرورة زمنية) جديدة للامة في ذاتها ووجودها إرتكاز الى قانون الترابط الجدلي بين الماضي والحاضر والمستقبل ، لذلك خلقت الثورة حالة من الوعي الثوري بالزمن ، تتلخص في انها دفعت الانسان الى مواقع جديدة في تحرير أرضيته أولاً ، وتأكيد وجوده ثانياً ، وتجاوز عوامل وظروف التخلف ثالثاً ، وبالتالي مكنته الثورة من قيادة حركة التحولات بنفسه في طريق منهجي مستوعب لإشكالات ومتناقضات الواقع العربي ، بما في ذلك إمتلاك هويته الوطنية والقومية المستقلة في عمليات البناء والتغيير والتقدم .

لهذا كانت الثورة خلاصة إستجابة حية لوضعية جديدة قائمة على الوعي بحتمية قيادة حركة الواقع دون الاستسلام له ، والتأثير الفاعل في مجرى حركة الاحداث دون الانفعال الانقيادي لها ، وذلك من خلال عقلية ثورية تعاملت مع الزمن بمنهج ثوري – واقعي في إختزال المسافة الطويلة الفاصلة بين واقع الانسان والأمة من جهة ، وواقع العصر والحضارة من جهة أخرى .

وهذه المهمة الجديدة للثورة تكمن أهميتها في الوعي الجديد للعلاقة الحية بين المعاصرة الثورية (عصر الثورة) والاصالة القومية (ماضي الامة) ومستقبل حركة الثورة العربية والنهوض القومي ، وذلك لان الحاضر كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق – «لاينفصل عن الماضي كما انه لاينفصل عن المستقبل»[٢] .

اذن فالزمن بالنسبة للثورة (مراحل التحول والتغير والتقدم) يشكل تجربة صعبة في تحرير وبناء وجود الانسان من الداخل ، وكذلك تحرير وبناء وجود الأمة من الخارج عبر مواجهة ذاتية وقومية لعوامل وظروف التخلف والتجزئة والتبعية .

وتجربة الثورة (رغم قصر عمرها) هي محصلة لوعي قومي شامل ب(شخصية وتاريخ وحضارة وتراث الأمة) ، كما انها محصلة أيضاً لمعاناة نضالية طويلة وشاقة في تغيير الواقع ومغالبة الزمن والانتصار على أعداء الثورة والتحرر والتقدم .

لهذا فالعلاقة بين الثورة والزمن – علاقة مبادئ أساسية في كيفية تحويل المعرفة الثورية الى سلوك عملي على مستوى العقيدة والتطبيق ، ذلك لان المرحلية في قوانين تطور مراحل الثورة كما يقول الرئيس القائد صدام حسين هي « تقسيم المبادئ على الزمن » أي التعامل مع الزمن بصيغ علمية موضوعية من خلال التفاعل الحيوي بين الامكانات والظروف ، وهي صيغ ثورية تكفل السرعة والدقة والعلمية في تحقيق الانجازات الذاتية والاجتماعية والقومية والحضارية ، لانها موجهة بعقل ثوري متجاوز للواقع بصيغة التقدم عليه دائماً ، وذلك بهدف ربط وعي الانسان لتناقضاته الذاتية

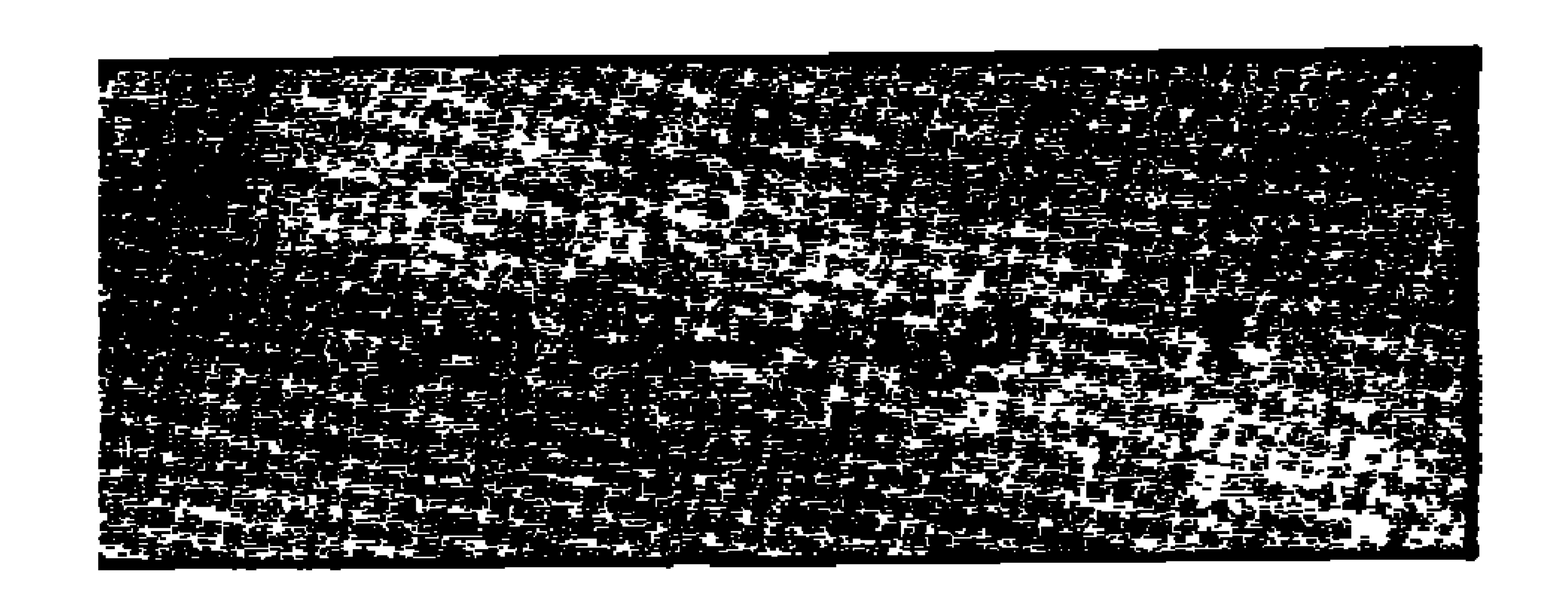
---

٢ – البعث والتراث/ميشيل عفلق/ص٦ .

بوعي الامة لتناقضاتها القومية عبر ممارسة ثورية فاعلة ومؤثرة في توجيه حركة الواقع والحياة .

وقد تميزت الثورة في انها تعاملت مع الزمن بعقل ثوري واقعي إمتلك القدرة على ترجمة (قوانين حركة الزمن) بلغة حية ومباشرة ، وخصوصاً فيما يتعلق بقضية تحرير الانسان وإطلاق طاقته الكامنة ، والارتفاع به الى مستوى فاعل في قيادة الاحداث والتحولات الكبرى في البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ومعنى ذلك ان (نموذج الزمن الثوري) أصبح الغاية والوسيلة في التنمية والبناء والتغيير الثوري – العميق والواسع ، وبذلك جعلت الثورة من الانسان قوة تاريخية (قومية – حضارية) فاعلة في تحقيق الافعال الثورية الحاسمة في مجرى قوانين حركة الزمن بوعي متجاوز لتناقضات الواقع ومستوعب لحركته الجوهرية .



ورغم ان عمر الثورة أصبح (خمسةعشر عاماً) فان تجربة الثورة تمخضت عن زمن ثوري جديد من طراز خاص تجاوز الدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات ، لانه زمن تجسد من خلال ترجمة الافكار النظرية الى أفعال ثورية حاسمة تجلّت بوضوح شديد عبر ما أحدثته الثورة من تحولات ومتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية في الواقع الاجتماعي الشامل .

وهذه المتغيرات والتحولات – كانت تعبيراً ضمنياً عن معاناة صعبة وشاقة في كيفية قيادة حركة الثورة بأتجاه أهدافها الاستراتيجية في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وكانت تعبيراً ضمنياً أيضاً عن قدرة العقل المركزي (السياسي) للثورة في السيطرة على حركة الزمن ، وتوجيهه بأتجاه التنمية والتغيير والتقدم من ناحية ، ومواجهة التحديات الامبريالية المعاصرة بقوى ذاتية قومية حضارية متجددة من ناحية اخرى . واصبح الزمن بالنسبة للثورة – خلاصة علاقة جدلية فاعلة ومتفاعلة بين العقيدة والواقع على مستوى التفكير والعمل والنضال ، وذلك لان المقياس الحقيقي الوحيد لقوانين تطور حركة الثورة – يقاس دائماً بدرجة وعمق وشمولية التغيير الثوري وتصحيح (الاختلالات البنيوية) في حركة الانسان وحركة الواقع الاجتماعي .

فالثورة كفعل أقتحامي واقتدار قيادي وايمان جوهري – إستطاعت ان تتجاوز ولأول مرة في تاريخ الثورات التحررية في العالم الثالث : القاعدة التقليدية لعمرها الزمني ، وبذلك أعطت للزمن أبعاداً فاعلة ومؤثرة في صياغة الشخصية الجديدة – صياغة ثورية مؤمنة بالمبادئ ، وواثقة من نفسها ، وقادرة على قيادة الأحداث وغير منقادة لها ، وفاعلة في الواقع وغير مستسلمة له .

وقد تعاملت الثورة مع الزمن بكيفيات متعددة على مستويات متباينة في تحويل المبادئ التي انطلق منها الحزب في رؤية الحياة الى ممارسات حياتية ، وواجهت بذلك أوضاعاً سلبية (متخلفة ومختلفة) نتيجة الترسبات والعقد والحساسيات المتراكمة منذ العهود المظلمة ، والتي تمثلت بالأمراض الاجتماعية والصراعات السياسية والتناقضات الطبقية ، وبالتالي فهي أوضاع بحاجة الى زمن طويل نسبياً بغية العمل على وضع وتنفيذ الحلول الجذرية والشمولية لها ، بما في ذلك تصفية القاع (السيكو–اجتماعي–سياسي) من ترسبات ومخلّفات المعتقدات والايديولوجيات السابقة .

ولكي تستمر الثورة كان لابد لها ان تمضي في طريق تحقيق الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي ، وإطلاق الحريات الديمقراطية ، واجراء التحولات الاشتراكية ، وبناء العلاقات السياسية الدولية القائمة على إستقلالية حركة الثورة العربية بسماتها المميزة عن بقية الحركات الثورية الاخرى .

وجاء في التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٧٤ : (ان المهات التي واجهتها ثورة السابع عشر من تموز في ميدان التحويل الاشتراكي كانت ذات أوجه ثلاثة :

الاول : ضرورة اصلاح الاوضاع الفاسدة والمتخلفة في الزراعة والصناعة والتجارة والخدمات والقضاء على الفوضى التي كانت سائدة فيها .

الثاني : ضرورة إحداث تنمية شاملة وسريعة .

اما الوجه الثالث : فهو إتخاذ الاجراءات واحداث التغييرات ذات الصلة المباشرة بمهمة تأمين مقدمات الانتقال الى الاشتراكية»[٣] .

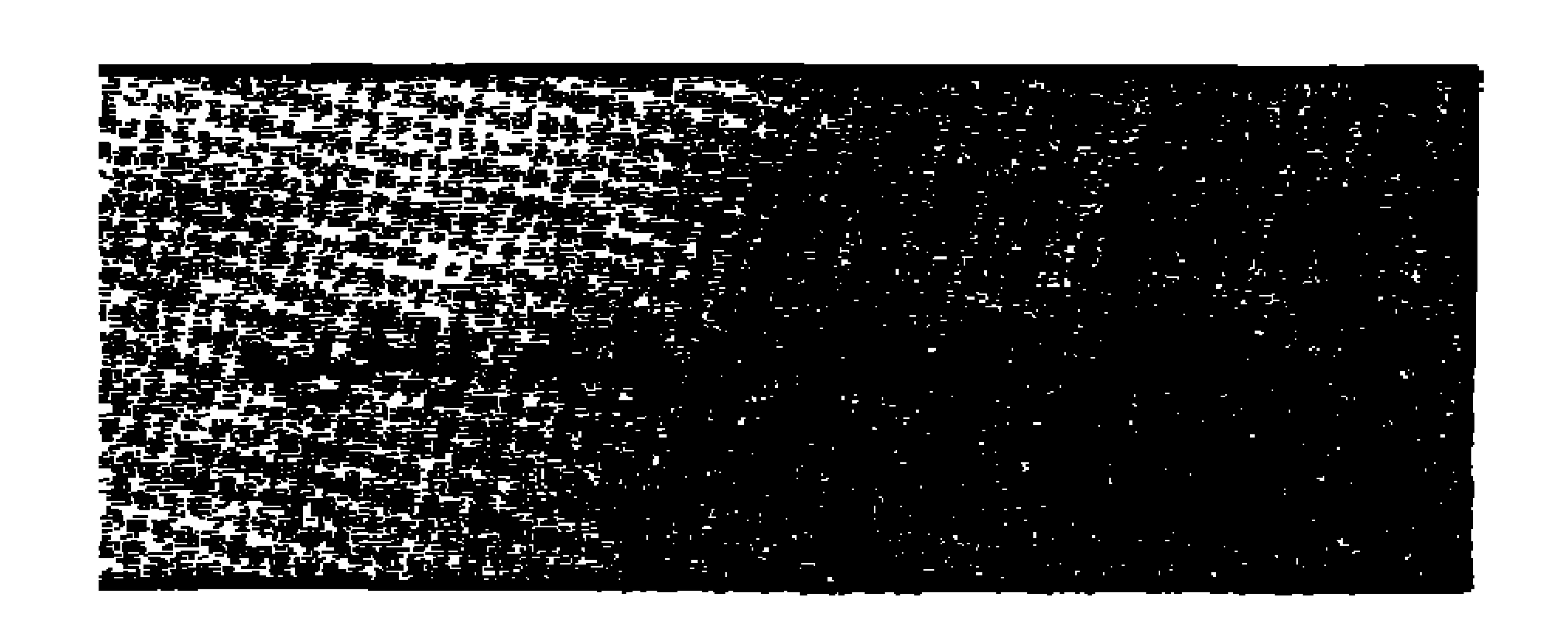
وجاءت هذه المنجزات الثورية لتمثل درجات متصاعدة ومتقدمة في الوعي السياسي في (تقسيم المبادئ على الزمن) من خلال تنفيذ برامج وأهداف الاستراتيجية السياسية للحزب والثورة ، والخاصة ببناء الانسان العراقي الجديد ، وبناء العراق الجديد كقاعدة أنموذجية لانطلاق حركة التغيير والتحرر والتقدم في الوطن العربي ، وبذلك تفردت تجربة الثورة في العراق بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في انها إعتمدت سياسة التخطيط التنموي الشامل بهدف القضاء على التخلف الاجتماعي وإلغاء الاستغلال الاقتصادي ، وذلك بتحديث الاقتصاد الوطني ، وتصفية مخلّفات العلاقات الانتاجية (الاقطاعية والرأسمالية) في القطاعات السلعية والخدمية المختلفة ، وإعطاء القطاع الاشتراكي مهمة قيادة البناء الاشتراكي .

كما ان المنجزات والتحولات والمتغيرات المتباينة التي أحدثتها الثورة في كيان الانسان من ناحية ، وبنية الواقع من ناحية أخرى هي في جوهرها – خلاصة تعامل علمي وعملي دقيق مع حركة الزمن ، ذلك لان سنوات عمر الثورة نفسها كانت بمثابة لحظات متفردة وحاسمة في التغيير والتقدم والتحرر ، وان كل لحظة من هذه اللحظات هي نقطة تحوّل نوعية في سياق اختزال المسافة الزمنية بين المبادئ السياسية والتطبيقات الثورية .

لهذا جاءت المتغيرات الجديدة في حياة الانسان وأرضية الواقع لتؤكد صحة ومصداقية وايجابية الطريق الخاص الذي إنتهجته الثورة في إستثمار وتوظيف الزمن بجهود إضافية مكثفة تهدف الى الارتقاء بالعراق الى مواقع جديدة ومميزة في العالم الثالث على وجه الخصوص .

---

٣ – المؤتمرالقطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي/ص٩٦ .



ان المنطلقات الفكرية ونظرية العمل تشيران – كما يقول الرئيس القائد صدام حسين – الى «ان التغيير الثوري لاينجز بقوانين مجردة ، وانما بعمل نضالي دؤوب ، وتحرك جماهيري واسع ، ومعرفة دقيقة بقوانين تحول المجتمع» ، ولهذا فرغم ان قوانين تطور الثورة تعبر في جوهرها – عن ضرورات نضالية تشكل أستجابات حية لعوامل فاعل في مجرى حركة التغيير بأستمرار ، إلاّ ان هذه القوانين غير ثابتة أو نهائية ، لانها بالأساس قابلة للتغيير والتعديد والاضافة والتطوير . وقابلة أيضاً الى التدخل الفعلي في توجيه وقيادة مساراتها التنموية الرئيسة في الاتجاه الصحيح ، ومن ثم الوصول الى الاهداف بأكثر من رافد وأكثر من صفحة ، وهذا مايجعل السيطرة على قوانين حركة الزمن ضرورة أساسية في استخدامه – استخداماً ثورياً – عقلانياً في آن واحد .

ومن هذا المنطلق – فقد فاجأت الثورة – قوى الاستعمار والامبريالية العالمية بقوى نوعية جديدة – نسفت بدورها الحسابات التقليدية من الاساس ، وتتلخص هذه القوى الجديدة – في نوعية وامكانية وقدرة (الشخصية العراقية التي ولدت مع الثورة ولادة جديدة) على العمل والاصرار بأستمرار على بناء القاعدة الثورية في العراق بطاقات إضافية جديدة رغم معوّقات التقدم وحجم التحديات الراهنة .

ومع ان المرحلة التي نمر بها – قد بلغ فيها الصراع القومي الحضاري مع قوى الاستعمار والشعوبية والصهيونية – مستوى جديداً من المواجهة المسلحة ، فان الثورة خلقت معادلات صعبة قائمة على موازنات علمية وموضوعية دقيقة بين (البناء والحرب) من خلال كيفية (استراتيجية سياسية) مبرمجة بتخطيط تنموي في استخدام الزمن ، وخصوصاً (الزمن الاضافي) بوعي ثوري مسبق ، وممارسة حية على أساس الحفاظ وكذلك الاحتفاظ بجوهر التوازن بين متطلبات التنمية ومستلزمات الحرب .

ومن هنا – فان إستمرار الثورة في طريقها الخاص بمنهج مستقل ، واستمرار العراق في بنائه بأصرار متزايد على التقدم والتطور ، وكذلك استمرار العمل بوتائر إنتاجية أعلى – هذه الاستمرارية تكشف عن طاقة إضافية خلاّقة بأستخدام الزمن المضاف بهدف الاسهام الفاعل والناجح في دفع عمليات التطور والتغيير والتقدم الى أمام ، وكذلك بهدف الاسهام الفاعل والناجح أيضاً في الاستمرار على المواجهة وتحقيق المزيد من الثبات والانتصار على أعداء الثورة وخصوم القومية العربية .
وفي أهمية وعي وكيفية استخدام الزمن المضاف ، وكذلك الطاقة الاضافية ،

يقول الرئيس القائد صدام حسين :
«كنا نقصد العمل بالزمن المضاف هو الطاقة الاضافية ضمن الزمن المحدد»[٤]
وهذا يعني ان الضرورة تقتضي أن يكون العمل (وضمن الساعات المحددة) ضرورة نضالية لابد ان تشكل استجابة منطقية لطاقة إضافية مطلوبة بالاساس في ظروف الحرب التي نمر بها ، وذلك بهدف تحويل (الطاقة الاضافية والتي هي الجهد المضاف) الي عملية فاعلة ومؤثرة في عمليات البناء والحرب ، وهذه «الطاقة الاضافية – كما يقول الرئيس القائد – ليست كمية وانما نوعية»[٥] فالزمن الاضافي في حالتي (البناء والحرب) تكمن أهميته الاستثنائية في أنه زمن غير تقليدي ، لانه زمن قائم على أساس

---

٤ – من حديث الرئيس القائد صدام حسين بتارخ ١٩٨١/٩/١٣ للهيئة التدريسية في اعدادية الحريري للبنات .
٥ – من حديث الرئيس القائد صدام حسين / للمصدر السابق .

تحقيق أعلى معدلات النمو والانتاج والتطور عن طريق الاندفاع في العمل المتواصل لبناء الوطن والتضحية في سبيله وصولاً الى الشهادة ، كما ان الزمن المضاف تكمن أهميته الاساسية في مايتم إنجازه فعلاً في الواقع من جهود وافعال وطنية في ميادين العمل وفي ميادين الدفاع عن وجود الوطن والأمة .

ولهذا يؤكد الرئيس القائد على أن «العمل المضاف هو العمل الذي ليس له زمن تقليدي» أي بمعنى أنه عمل مضاف ولكن ليس بزمن مضاف . . وانما بذات الزمن نفسه» . [٦]

ومن الطبيعي ان الزمن المضاف الذي يتحقق فيه العمل المضاف – لابد أن يتمخض عن جهود إنمائية محركة لقوى الانتاج ودافعة لقوى الثورة والتغيير في صراعها مع اعدائها التقليديين ، وبالتالي بما ان العراق قادر بأستمرار على أن يقود حركة البناء الثوري من ناحية ، وحركة الصراع مع القوى المعادية من ناحية أخرى بمزيد من الجهد الاضافي ، فانه الآن يعيش حالة جديدة تتطلب منه أن لايتيح أية فرصة من الزمن إلاّ وان يستخدمها بوعي دقيق بغية تحويلها الى فرصة مثمرة إنطلاقاً من إيمانه العميق بمبادئ ثورته العملاقة ، لذلك يقول الرئيس القائد صدام حسين « ان النوع العراقي – ينبغي أن يتغير لكي يكون ثقله في الميزان أعلى من أية مرحلة سابقة»[٧] .

وهذا يعني أنه يقف أمام لحظة تحوّل تاريخية حاسمة في الانتقال الى مرحلة جديدة تتطلب طاقة إضافية مؤثرة وفاعلة في العمل والتضحية على حد سواء .

اذن فالثورة قادرة بأستمرار على مفاجأة الاعداء دوماً بقوى إحتياطية جديدة تمتلك الامكانية الذاتية على استخدام الزمن الاضافي بصيغ ثورية هي بالأساس محصلة لطاقات إضافية نوعية في البناء والمواجهة ، وبالتالي فان الزمن المضاف ، هو خلاصة عوامل مضافة في العمل حيث الجهد والطاقة والفعالية ، وليست أوقات

---

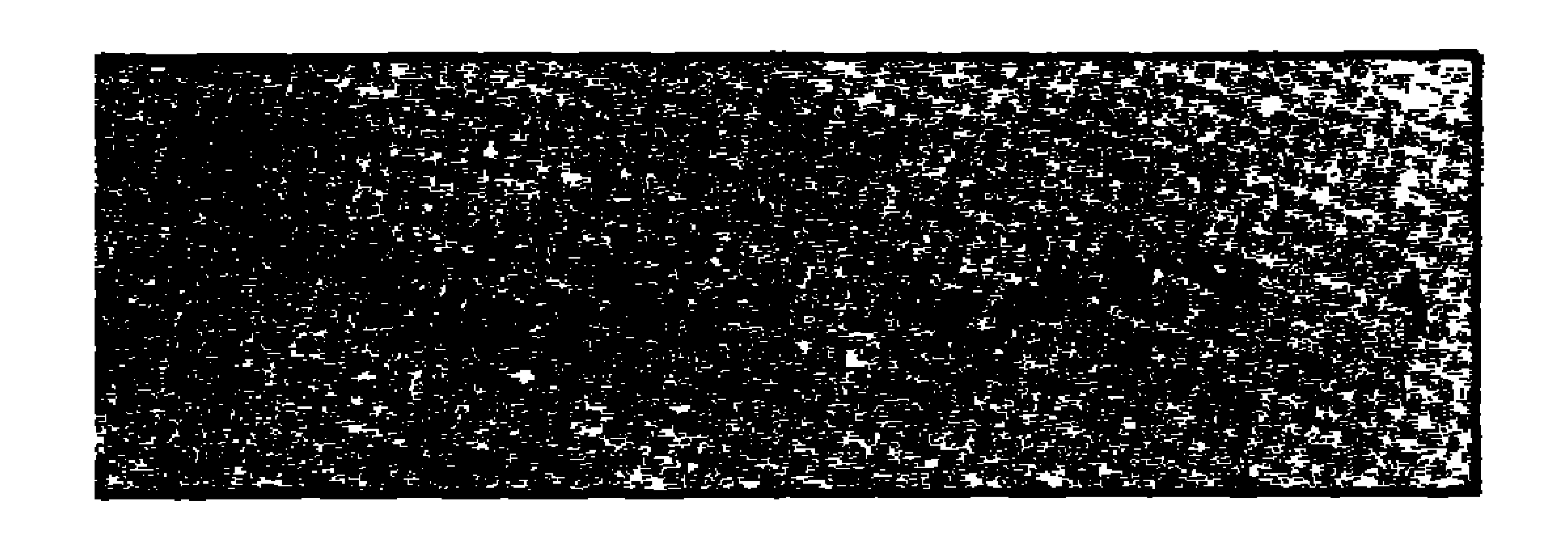
٦ – من حديث الرئيس القائد صدام حسين بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٣ في المؤسسة العامة لسكك حديد الجمهورية العراقية .

٧ – من حديث الرئيس القائد صدام حسين / بتاريخ ١٩٨١/٩/٦/ لاعضاء الهيئة التدريسية لاعدادية الاعظمية للبنات .

ميكانيكية مجردة محسوبة بحسابات تقليدية . بل محسوبة بحسابات ثورية دقيقة ، لانها عوامل مرتبطة بالوعي والمعرفة والايمان والعمل بضرورة إستمرار البناء بروح متطورة . وحتمية تحقيق الانتصار الحاسم على أعداء الأمة العربية بأرادة متجددة .

الصـــراع

والنموذج الاخلاقي ـ الانقلابي الجديد



تتلخص فلسفة (البعث العربي) بكلمة موجزة هي «ثقة الأمة بنفسها» والثقة هنا - تنطوي علىٰ (خصوصية نفسية وعقائدية) هي بمثابة دليل علمي للسلوك الانقلابي قبل أن تكون دليلاً نظرياً للسلوك المعرفي ، وبذلك ف «الايمان - كما يقول الرفيق ميشيل عفلق - يسبق المعرفة» باعتباره الدافع الذاتي والباعث الروحي في مواجهة المواقف والحالات الصعبة والمعقدة ب (إيمان نفسي - عقائدي) مسبق ، وتأتي المعرفة كأنساق وأنساغ حيوية لتنظيم وتعميق مبادئ (الثقة) بوعي عميق وشمولي على مستوى حركة وتطور الحياة ، ذلك لان الأمة في جوهرها - حقيقة (قومية - انسانية) متطورة من حيث كونها (ديمومة وصيرورة) وليست (مرحلة أو نهاية) ، ولهذا فهي علىٰ إرتباط مصيري بقوانين حركة الصراع الجوهري (من أجل حياة أفضل) عبر لحظات (تاريخية - حضارية) حاسمة من الولادة والتكوّن والتطور القومي ، ومعنىٰ ذلك انها تتميز دائماً (بدورة حياتية كاملة) متجددة باستمرار ، اذن فهي أمة حية مقتدرة ، تحتوي في داخلها على قوى دافعة ومحركة (لغة وتاريخ وتراث وحضارة) وتتوحد هذه القوى في انها مصدر (بعث ذاتي واجتماعي) دائم لحقيقتها الروحية (من الداخل الىٰ الخارج) ، وهذا ما يجعل سياق تطور الحياة فيها يتشكل بحالات جديدة خلاّقة ومؤثرة في حركة التاريخ العربي عبر مساره الاجتماعي العام .

من هذا المنطلق – كان البعث بالنسبة للامة خلاصة (انقلاب متسلسل بصورة حيوية متجددة دائمة) إتخذ معنىً واحداً هو (الصراع) مع قوى التخلف الداخلي وقوى الاستعمار الخارجي ، وهذا ما أعطى وجود الأمة : القوة الباعثة والمحركة والدافعة لحركة الروح العربية في الخلق والابداع والانطلاق (من حالة متخلفة الى حالة متقدمة) مهما كانت عوامل وظروف الانحطاط الحضاري ، وهي بذلك تمتلك من عناصر القوة والتحدي والبقاء ما يجعلها قادرة باستمرار على أن تتجدد مع حركة الزمن ، وتتطور مع حركة التاريخ ، وتتفاعل مع حركة العالم ، كما تمتلك من عوامل الثقة والايمان والوعي ما يجعلها قادرة أيضاً على التمييز والاستيعاب والتفكير والعمل على حلّ تناقضاتها الرئيسية من خلال وحدة السلوك النضالي في التناقض الحي مع نفسها ، والتصادم القومي مع عدّوها الرئيسي .

اذن فهي أمة (إنقلابية – ثورية) إبتداءاً من إرهاصات النهضة ما قبل الاسلام ، ثم الانبعاثة المحمدية ، ومروراً بالنهضة العربية الاسلامية ، وإمتداداً للنهضة الذهبية في بغداد والاندلس ، والى سقوط الدولة العباسية وعوامل الاعتلال الحضاري ، وحتى (اليقظة الذاتية والانبعاثة الروحية) في المرحلة الراهنة ، ولهذا فهي كانت وما زالت تعيش في كل مرحلة – مخاضة صعبة وشاقة ، تكشف عن حالة جديدة من الانحطاط أو الانبعاث .

ولان شخصية الأمة – شخصية إنقلابية بالأساس ، فهي في صراع دائم مع قوى الغزو والقهر والاستلاب النفسي قبل كل شيء ، وذلك لتأكيد هويتها العربية باعتبارها – حقيقة (ذاتية – قومية – إنسانية) ، ومعنى ذلك انها تناضل على مستويين :–

* ضد نفسها (الامراض الداخلية) .
* ضد واقعها (الامراض الخارجية) .

والنضال هنا – يشكل جوهر هذه الأمة ، فهو يرتبط دائماً وأبداً ب (الحقيقة الانقلابية) ، فالانقلاب في حياتها يتخذ شكل «مغالبة الحقيقة للواقع» و «مغالبة

المستقبل للحاضر»[1] وهو وحده الذي يبني (شخصيتها القومية العربية) من جديد من خلال (عمق وصدق) المعاناة النفسية والاجتماعية .

١ –في سبيل البعث / الرفيق ميشيل عفلق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

٢ – قادسية صدام : إنبثاقة قومية جديدة

ان قادسية صدام (فاتحة جديدة) ل (ولادة جديدة) في حياة وتاريخ الأمة العربية عبر مخاض معقد من التناقضات الجوهرية في الواقع العربي ، بحيث كشفت ولأول مرة بان ثمة طاقة تاريخية خلاّقة – كامنة في وجود الأمة ، وهذه الطاقة هي قوة تاريخية أيضا فاعلة في الاحداث ومغيّرة لسياق تطور الاحداث نفسها ، وهي بذلك لم تولد نتيجة (مصادفة عفوية) ، بل جاءت ولادتها تعبيراً عن وعي الانسان العربي العميق وايمانه العقائدي بان تحرير الأمة من عوامل وظروف التخلف والتجزئة والاستعمار لابد ان يمر بتحرير (إرادته الانسانية) من الاوهام والتقاليد المتخلفة والامراض الداخلية ، كما ان «ثقته بنفسه» ومن ثم «ثقة الأمة بنفسها» هذه «الطاقة القوية الفاعلة» هي «الارادة القومية الانسانية» التي هي وحدها القادرة على صنع الاحداث الكبرى في التاريخ ، كما ان العلاقة بين الرجال والاحداث – علاقة جدلية حيوية متبادلة ، ومعنى ذلك «ان الاحداث هي التي تصنع الرجال التاريخيين» و «ان الرجال التاريخيين هم الذين يصنعون الاحداث» .[٢] .

---

٢ –القيادة والازمة الحضارية / جميل كاظم المناف / منشورات وزارة الثقافة والاعلام / بغداد ١٩٨٠ / ص ٢٧ .

وبالتالي فان (قادسية صدام) تعبير حي عن جدل العلاقة أيضاً بين «النفس والواقع» بما في ذلك الايمان بطريق الثورة على مخلّفات واقع الركود والجمود والانحطاط ، وحتمية التغيير الاجتماعي للأنسان والواقع – بغية إعادة بناء وتكوين (بنية المجتمع العربي) من جديد علىٰ أسس قومية حضارية .

ومن هنا – فان ما يجعل (قادسية صدام – معركة قومية) كونها تشكل انبعاثة قومية لمرحلة جديدة (صاعدة ومتطورة) ، كما انها تجسيد عملي للتفكير الانقلابي (الايمان العقائدي – السلوك النضالي) ، وذلك للتعبير عن الكيفية (الثورية – التاريخية) مع متطلبات الوعي التاريخي ومستلزمات التقدم الاجتماعي .

لذلك فالمعركة (واقعة تاريخية) من صنع (طليعة تاريخية) تقود (حركة تاريخية) جاءت إستجابة حية لـ (ضرورة تاريخية) في تحقيق (اليقظة الذاتية) للانسان العربي و (الانبعاثة القومية) للامة العربية ، ومن هنا «كانت قادسية صدام شهادة حية لفكر الحزب بانه :

أ – فكر حي واقعي ثوري .
ب – فكر ينطلق من موقف أصيل مؤمن بالتراث وبدوره كمحرك تاريخي .
جـ – فكر معاصر مستوعب لصورة العالم .

لذلك واجه البعث من خلال المعركة مفاهيم ومواقف فكرية ، وطريقة ، في فهم الاشياء ، كشفت بُعد العدو عن المنطق ، وعن الموضوعية ، وعن الواقع الحي ، وكذلك عن المفاهيم المعاصرة التي يتعامل بها البشر ، كما انها تتعارض وتتناقض مع جوهر التراث والابعاد الروحية لها»[٣] .

ولهذا ف «قادسية صدام» حالة جديدة ترجمت المفردات (الاخلاقية – الانقلابية) الىٰ أفعال نضالية سلوكية ، واعطت لكل مفردة من مفردات الواقع والحياة معاني ودلالات ولحظات وافعال نفسية واجتماعية وتاريخية عبر مواجهة صعبة

---

٣ –ولادة البعث . . ولادة قادسية صدام / الدكتور الياس فرح / جريدة الثورة / العدد ٤٢٢١ بتاريخ ٧ / ١٢ / ١٩٨١ .

للذات (مع نفسها ومع عدوّها) . كما أنها أوجدت معايير (اخلاقية – انقلابية) لحركة نهوض الانسان في مواجهة التحدي ، وكيفية الرد علىٰ هذا التحدي باسلوب متميز بمنطق قومي حضاري متطور من حيث الحوار (الادبي – السياسي) والحوار (العسكري – الاستراتيجي) ، وقد عبّر (الانسان الاخلاقي الانقلابي) عن ايمانه المطلق بالموقف البطولي المتجدد من الموت باقصىٰ درجات الوعي ب (الفداء والشهادة والتضحية) .

لذلك فالنموذج الذي يقاتل عدوّه علىٰ (خط فاصل بين الحياة والموت) ليس مجرد مقاتل تقليدي فحسب ، بل هو رمز حيوي (إخلاقي – إنقلابي) علىٰ جانبين :

– إنقلاب على الواقع الداخلي للذات بفعل قوة ونضوج وتماسك إيمانه الواعي بضرورة تحرير وجوده من الداخل .

– انقلاب على الواقع الخارجي للامة بفعل قوة وإصالة وانبعاث روحها المؤمنة بحتمية تحرير وجودها من الخارج .

واية مداخلة بين هذين الجانبين – تقودنا الى ان الانسان (الاخلاقي – الانقلابي) في قادسية صدام هو نموذج معبر عن روح (تحريضية – تعرضية – إقتحامية) متقدمة علىٰ مستويات متباينة من التناقض والصدام والمعاكسة لقوى التخلف والعدوان ، وهي بذلك روح (إنبعاثية – يقظوية – نهضوية) تشكل بداية ولادة جيل جديد – متبلور بايمان مسبق ذي سلوك معرفي في الاختيار واتخاذ القرار البطولي الحاسم في المواجهة القتالية ، لذلك فان «الفداء العربي ليس اذن مجرد إستعداد بطولي لمجابهة تحديات النهضة العربية المعاصرة ، بل هو موقف نابع من إختيار مصيري حاسم ، ومن وعي عميق ، وضمير حي ، معبر عن شخصية منبعثة ، تجسد الصلة بماضي الأمة ، وتتجاوز الانقطاع الحضاري ، وتتمثل معطيات العصر تمثلاً مبدعاً» كما ان «الفداء العربي يشكل جزءاً لا يتجزأ من عملية الانبعاث القومي ، وهو الثمرة الناضجة

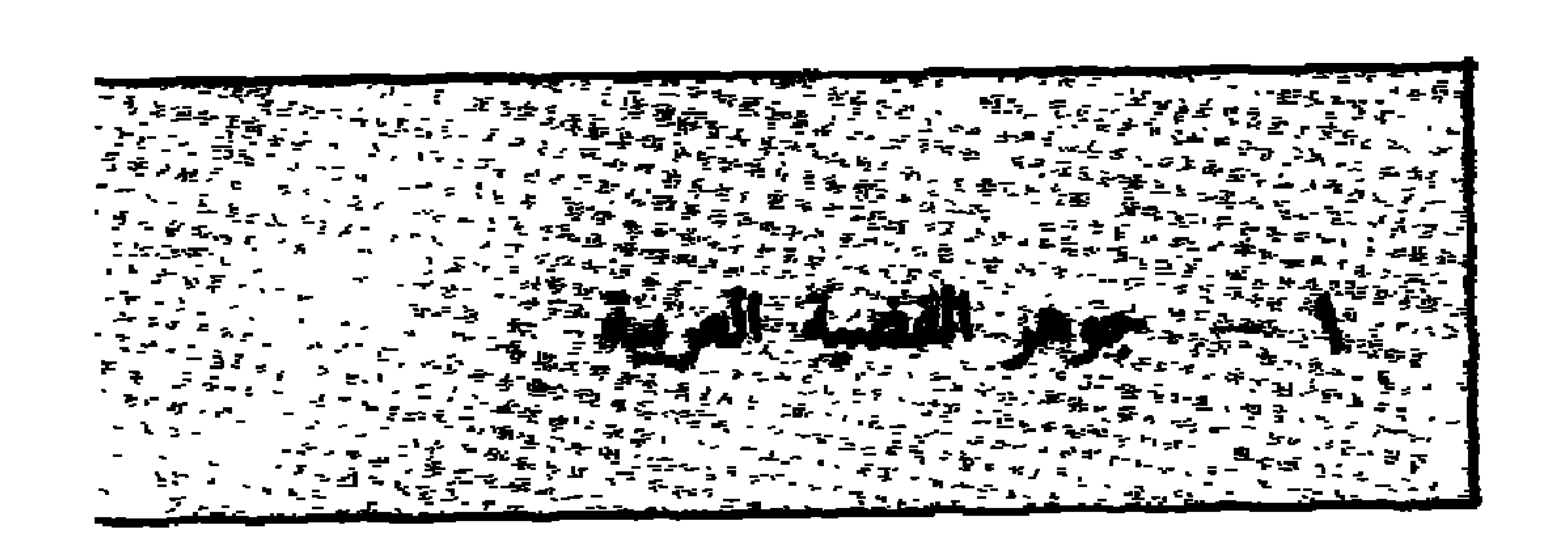
لتكامل شروط ثورة الأمة على واقعها . أي نضج فكرة الانبعاث ، واستراتيجية الانبعاث ، والجيل الانبعاثي ، والمعركة التي تشقّ طريق الانبعاث»[٤] .

ونخلص الى ان قادسية صدام حالة جديدة لايمان واع جديد هو في جوهره إمتداد جدلي لتجربة نضالية طويلة وشاقة تمخض عنها (البعث العربي) باعتباره حركة (إنقلابية - إخلاقية) تميزت في انها الدليل (المعرفي - العملي) الوحيد في التفكير والنضال والسلوك (الثوري - العقائدي) .

---

٤ -الفداء العربي / الدكتور الياس فرح / جريدة الثورة / العدد ٤٢٦١ / بتاريخ ٦ / ١ / ١٩٨٢ .

نحو طريق نهضوي جديد للذات العربية



في رأيي أن نقطة الأختلاف مع الأتجاهين التقليدي والتجديدي في تعليل (علل التخلف) و (علل التقدم) في مسار جدل الذات العربية ينحصر في أن كلاً منهما قد إنتهى بطريق فكري مسدود ، ليس لأنهما عجزا عن إكتشاف (الطريق الواقعي والصحيح) ، ومن ثم الخروج بـ (الذات العربية) من إطار أزمتها (الداخلية — الخارجية) المركبة ، بل لأن كلاً منهما يفكر بمنهج غير متكامل نتيجة عدم إستيعاب الخصائص (القومية — التأريخية — الحضارية) لهذه الذات بالأساس .

لذلك كان (الفكر البعثي) بمنهجه (الجدلي العلمي التأريخي) أول حركة فكرية شاملة تحسست جوهر القضية العربية (بما في ذلك — الذات العربية) ووضعتها في مكانها الموضوعي ، وقد تميزت حركة البعث بالقدرة علىٰ التمييز والتشخيص والتحليل والأستيعاب لمتناقضاتها (الذاتية والأجتماعية والقومية) ، وبذلك إكتشفت ومن ثم أكدت علىٰ أول وأهم حقيقة من حقائق الأمة العربية ، وهي أنها (أمة عربية واحدة — ذات رسالة خالدة) ، وهذه حقيقة جوهرية تنطوي على أن (العروبة والأسلام) هما المحركان الأساسيان لقوانين حركة التاريخ العربي ، وأن (القومية العربية) هي هدف ومنطلق الثورة العربية المعاصرة ، وبالتالي فأن قضية (الذات العربية) خلاصة مسار جدلي متنام قائم علىٰ وحدة أساسية متفاعلة بين الشعور (الروح العربية) والتفكير (الفكر القومي) والسلوك (العمل الثوري) .

تساؤلات متعددة : تبحث عن جواب واحد

ومن هذا المنطلق – أثرت أن أطرح عدة تساؤلات تبحث عن جواب واحد على الصعيد الفكري والحضاري قبل كل شيء :

* من أية رؤية يمكن النظر الىٰ (الذات العربية : من حالة الانكسار الذاتي الىٰ حالة النهوض القومي ؟) .
* هل ينبغي النظر الىٰ (الذات العربية) من المستوىٰ الجديد لواقع (النهضة العربية المعاصرة ؟) .
* أذن ما نوع ومستوىٰ ودرجة وعمق المتناقضات الجوهرية في (الذات العربية ؟) .
* وأخيراً لماذا كان وما زال (النضال –كأسلوب للعمل الثوري) هو الطريق الوحيد لأعادة بناء (ولا أقول خلق) الذات العربية (من جديد ؟) .

ورغم أن (قادسية صدام) هي الجواب القومي الحضاري الشمولي علىٰ هذه التساؤلات ، وخصوصاً إشكالاتها النظرية والعملية ، فأن المستوىٰ الفكري الحضاري لها – يبقى بحاجة الىٰ وعي جديد يرتفع الىٰ مستوى (قضية نهوض الذات العربية) نفسها ، ولهذا فهناك أكثر من ضرورة (كما تبدو لي) للنظر في جدلية مسار الذات العربية من حالة الأنكسار الذاتي الىٰ حالة النهوض القومي) .

٢ - الذات والتخلف والأستعمار

إن (قلق) المواجهة مع قوىٰ التخلف والأستعمار يشكل حالات متسلسلة من الصدمات الذاتية والصدامات الموضوعية للذات العربية ، بحيث خلق حالة من (التوتر) الذي هو مزيج من الأحساس بالقهر النفسي والتطلع الذاتي للفرد العربي الىٰ التحرر من مختلف أشكال الضغط والأستغلال والأستلاب ، وقد تطور هذا (التوتر) الىٰ (صراع جوهري) – (داخلي – خارجي) بين (الذات والواقع) ، إلاّ أن هذا القلق لم يؤدِ الىٰ فقدان «الثقة بالذات ، وبالقوة ، وبالتراث ، وبالنحن» كما يرى الدكتور علي زيعور من ناحية ، بل أنه «فجّر العوامل المكبوتة»[1] من داخل تراكمات وترسبات عوامل وظروف اليأس والاحباط والأنحطاط من ناحية أخرى ، وقد إتخذ الصراع صوراً مختلفة من مواجهة الذات لنفسها أولاً وتناقضها مع قوى التخلف والأستعمار ثانياً ، وذلك لكون (هذه الذات) تحتوي في داخلها علىٰ روح حيوية قادرة علىٰ الأنتقال والتجدد والنهوض بأستمرار ، وهنا تكمن خصوصيتها في أنها لا يمكن أن تنهض من جديد دون دافع جوهري لكيانها (الروحي والنفسي والذاتي) لأنه المحرك الأساسي في الأنطلاقة والمواجهة والتحرر بأتجاه استعادة هويتها الشخصية

---

١ – الدراسة النفسية الأجتماعية بالعينة للذات العربية/الدكتور علي زيعور/دار الطليعة بيروت/الطبعة الأولى ١٩٧٨/ص ١٥٦ .

(القومية — الأنسانية) ، وكذلك إستعادة طاقتها الروحية الفاعلة في الخلق والأبداع والتجاوز ، وإحكام السيطرة علىٰ حركة الزمن ، والتأثر في مجرى حركة التأريخ ، لذلك كان (السؤال الجوهري) الذي شخّص فيه الاستاذ ميشيل عفلق واقع (الذات العربية . . الأمة العربية) هو «كيف ننتقل من حالة الىٰ نقيضها إذا أكتفينا بتغيير المظاهر والأشكال دون تغيير في الروح»[٢]

ومن هنا — كانت أزمة الذات العربية — أزمة (كيان ذاتي) نتيجة الضياع الروحي علىٰ المستوىٰ الفردي ، وأزمة (كيان أجتماعي) نتيجة الأعتلال الحضاري على المستوىٰ القومي ، وخصوصاً بعد أن تعرضت الذات العربية إلى إستلابات أستعمارية — حاولت إفراغها من محتواها القيمي ، وجعلتها تعيش حالات متباينة من الشعور بالتداعي والأحباط الداخلي أزاء قوىٰ التخلف والعدوان الخارجي ، وبالتالي فهي أزمة متداخلة بين الأنفصام عن الروح العربية (العروبة والأسلام) ، والأنفصال عن القومية العربية (اللغة والأرض والتاريخ والمصير المشترك) .

لذلك فأن ظاهرة إنكسار الذات العربية كانت في جوهرها — تعبير عن (أزدواجية في التفكير) و (تعددية في السلوك) ، ويشكل فيها التناقض (الداخلي — الخارجي) المصدر الرئيسي للتناقضات الأخرى ، ومع ذلك فهي تناقضات تتوحد في أنها تصبّ في مجرى (البحث عن الهوية) و (أستعادة الوعي بالزمن) عبر مواجهات عديدة من السقوط والنهوض ، الركود والأنبعاث ، التخلف والتقدم .

وأستقراءاً دقيقاً لأنكسارات الذات العربية (وخصوصاً في حروب المواجهة) نكتشف بأن لحظات (الأنكسار أو الأنكفاء) الذاتي تعبر عن إنفصامات نفسية بين (الذات وثروتها الروحية) من جانب وانفصامات واقعية بين (الذات والواقع) القومي للأمة من جانب آخر ، ورغم ذلك كانت الأرهاصات (الذاتية والموضوعية) تصطرع داخل الذات العربية بحثاً عن (طريق نهوضي جديد) يربط بين ماضي وحاضر

---

٢ — في سبيل البعث/ميشيل عفلق/دار الطليعة بيروت/الطبعة الخامسة ١٩٧١/ص ٦٦ .

ومستقبل الأمة العربية ، ولكن عدم إمتلاك القدرة علىٰ الأرتفاع بهذه الصلة (الزمانية – القومية – التأريخية) الى مستوىٰ (التفكير الواقعي والسلوك النضالي والعمل الثوري الأيديولوجي المنظم) جعل من الذات العربية تعيش في كل مخاض تجربة قاسية لولادة (مشوهة – كسيحة) غير قادرة علىٰ تحرير نفسها ، وإكتشاف طريقها النهضوي القومي العربي الجديد .

٣ – الذات العربية : نكبة وهزيمة وأنكفاء .

١ – جاءت (نكبة ١٩٤٨) كرد فعل لحالات مرضية من الأنقسام والتداعي والتخلف والتجزئة ، أي كانت تعبر «عن واقع أمة مغلوبة علىٰ أمرهاولم يكن مصيرها بيدها ، وهي ما تزال في أول الطريق نحو التحرر»[٣] .

ومع ذلك فأن الذات العربية أخذت تعيش إرهاصات حادة وعميقة بفعل حدة الأحساس وعمق الشعور (ليس بسبب مرارة الواقع المعاش ، بل بحكم تناقضات الواقع نفسه) ، وخصوصاً بعد أن تمخضت الحرب العالمية الثانية عن مؤثرات سلبية علىٰ الوطن العربي (من السيطرة العثمانية الى التجزئة الأستعمارية) ، ومن ثم ظهور (حركات التحرر والثورات والأنتفاضات الشعبية) ، لذلك دخلت الذات العربية «مرحلة التفجّر في الوطن العربي»[٤] ورغم أنها مشحونة بالأنفعال والحماس والتطلع فهي محكومة بعقلية التجزئة ونفسية التجزئة .

---

٣ – في الثقافة والحضارة/الدكتور الياس فرح/منشورات وزارة الثقافة والأعلام/بغداد ١٩٧٩/ص ١٥ .

٤ – المصدر السابق/ص ١٠٥ .

٢ – أما (هزيمة ١٩٦٧) فقد خلخلت الذات العربية من الداخل ، ووضعتها أمام واقع متداعٍ بكامل أبعاده الأجتماعية والسياسية ، وقد «تركزت قوى الصهيونية والأستعمار علىٰ تثبيت روح الهزيمة في الفكر العربي وفي النفسية العربية»[٥]

وبذلك كشفت الهزيمة وأكدت على :

– الصعيد الفكري «الأنفصال بين الفكر والممارسة ، بين الرأي والموقف ، بحيث كانت الثقافة الوسطية المترددة ، الثقافة المجردة التي تعزل الفكر عن الممارسة النضالية الحية ، الثقافة التي تبرّر لا التي تفسّر وتغيّر ، الثقافة المنكمشة عند حدود القطر والمصلحة الفردية . . هذا النموذج (كان) يعزل جمهور المثقفين عن الألتحام بمصير أمتهم ومصير الطبقات الثورية فيها ، وبالتالي عن الألتحام بجو المعركة» كما كانت «الطبقات الشعبية أكثر تحسساً (بالهزيمة) من المثقفين أنفسهم» ولكن القسم الآخر من المثقفين «قد إندفع بعد هذا الهبوط المفاجيء نحو مبالغات وأوهام جديدة صورت له قوى العدو وأمكاناته أضعاف حجمها الواقعي ، فأوقعته واقعيته الجديدة في هوة الأستسلام للواقع ، وكادت تقضي بكل ما تبقىٰ لديه من الثقة بالنفس والثقة بالأمة»[٦] .

– الصعيد الأجتماعي : فأن سبب الهزيمة (كما يرى البعض) يمكن في تخلف العرب التكنولوجي ، فأن الثورة التكنولوجية لا يمكن أن تكون بديلاً للثورة الأجتماعية بأي شكل من أشكال الحلول العلمية والثورية ، ولا يمكن أن يسبقها ، وأذا حصل ذلك (فرضياً) فأنها دعوة (بلا شك) لربط الأقتصاد العربي بنظام الأمبريالية العالمية ، وبالتالي فأن هذا (الحل التكنولوجي) يضع مشكلة (المجتمع العربي أو القضية العربية) خارج إطار الصراع القومي العربي مع قوى التخلف والأستعمار الحضاري[٧] .

---

٥ – حول نكبة الخامس من حزيران/منشورات مكتب القيادة القومية/بغداد ١٩٦٩/ص ٦ .

٦ – حول نكبة الخامس من حزيران/المصدر السابق .

٧ – حول نكبة الخامس من حزيران/المصدر السابق .

٣ – ولعل (حرب ١٩٧٣) أكثر الحروب إرتداداً للذات العربية وإنكفاءاً لها ، لأنها كانت واقعة تحت تأثير ترسبات الشعور بالعجز والهزيمة والأنكسار ، ولم تتخلص بع من آثار المرحلة السابقة ، إذ أنها محكومة بمشاعر وأحساسات (رومانسية ورومانتيكية) في الدعوة الى تشكيل وتحقيق (الوحدة الأندماجية الفورية) و (العمل العسكري الموحد) بغية تجاوز (الفجوة الحضارية) بينها وبين عدّوها .

وفي حرب تشرين فوجئت الذات العربية بحالة مخاض جديدة كانت فيها الولادة ناقصة ، ورغم هزيمة العدو ، فقد كشفت الحرب عن منطق جديد يتلخص بقبول الأستسلام للأمر الواقع بلا قيد ولا شرط ، والحيلولة دون إستمرارية حالات النهوض والأنبعاث القومي في تحرير (أرضية الذات العربية) والأنتقال بها الى مستوى آخر من (التفكير والنضال) المناقضين لقوى التجزئة والتخلف والأستعمار . وتتوحد هذه الحروب الثلاث في أنها حالات مخاض عسيرة فاجأت (الذات العربية) بالكشف عن إنقطاع صلتها الحضارية المتمثلة بصلة (الماضي بالحاضر وبالمستقبل) ، وبالخواء الأيديولوجي المتمثل بغياب (نظرية العمل الثوري) و (أستراتيجية العمل الثوري الموحد) .

٤ – قادسية صدام : جواب قومي حضاري .

إن قادسية صدام – هي خلاصة جواب قومي حضاري على حالات النكوص والأنكسار والارتداد القومي والأجتماعي . ذلك لأنها حالة جديدة من التوازن (الداخلي – الخارجي) للذات العربية في مواجهة قوى التخلف والعدوان والأستعمار الحضاري : وتلتقي عند أبعاده روح الأمة بروح النصر . وحقيقة الفرد بحقيقة الأمة : والثقة بالنفس مع ثقة الأمة بنفسها : وعروبة الأسلام بالقومية العربية الأنسانية ، كما أنها «حرب تطرح المستوى الجديد الذي ينبغي أن يرتفع إليه نضال العرب أمام أنفسهم وأمام عدوّهم»[٨] .

ولهذا جاءت (قادسية صدام) كوعي وإكتشاف وتشخيص ومعالجة قومية عربية لأمراض (الذات العربية) التي كانت تعاني منها نتيجة عوامل وظروف الأنكسارات (الماضوية) . ومبعث لنهوض (الذات العربية) من جديد لأستيعاب قوانين حركة التأريخ العربي ، وتحقيق النهضة العربية الشاملة كأستجابة حية (متفاعلة – متجاوبة)

٨ – معركة العرب القومية على الحدود الشرقية/الدكتور الياس فرح المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت/الطبعة الأولى ١٩٨١/ص ٢٠ .

مع روح الأمة العربية في الأنطلاق والخلق والأبداع ، وكحاجة عميقة من حاجات التطور والتغيير والتقدم في المجتمع العربي المعاصر.

وأخيراً فأن (قادسية صدام) هي بمثابة عملية تأريخية لبعث الذات العربية عن طريق قومي حضاري ، تستعيد فيه (الذات) خصائصها ومقوماتها الشخصية من جديد ، بما في ذلك ملامح هويتها القومية الأنسانية ، وبذلك فهي أول معركة في طريق إيقاف التزيف الذاتي القومي ، والأنتقال الى مستوى نضالي جديد يرتبط فيه الفكر البعثي بالسلوك النضالي العملي ، والتصور النظري بالتغيير الأجتماعي .

البعث

ومستقبل الصراع

(كيف نتصور معركة الانبعاث الحضاري العربي؟)

(*) البعث والمهمة التأريخية

البعث العربي – حركة تأريخية إنبثقت نتيجة إستجابة تأريخية هي بمثابة ضرورة تأريخية لاكتشاف عوامل وظروف (الانقطاع الحضاري) بين ماضي وحاضر ومستقبل الأمة العربية. ومن ثم معالجة أمراض ومتناقضات الواقع العربي.

ومن هنا – **كانت مهمة البعث – مهمة تأريخية – تعني (باستيعاب) ومن ثم تحويل هذه (الاختلالات البنيوية) و (المتناقضات الذاتية) الى عوامل دافعة ومحركة لقوانين حركة التطور القومي والأبداع الحضاري.**

(*) القضية العربية... قضية حضارية

اذن فالقضية العربية – في منظور البعث العربي – قضية حضارية بالأساس. وان الدافع الاول والأساس للبعث في وعي أبعاد هذه القضية. ومن ثم وضعها في المكان الصحيح من حركة التطور الشامل في مساره (الاجتماعي – التأريخي) هو دافع حضاري قائم على تصور حضاري ذي هدف حضاري. لان «طموحنا بعث الامة

العربية – كما يقول الرفيق القائد المؤسس ميشيل عفلق – بعث الحضارة ، وهذا أمر كبير وخطير لان الدافع الاول والتصور الاول لهذه الحركة كان دافعاً حضارياً»[1]

ولهذا لم ينشأ البعث العربي لكي يسدُّ فراغاً آيديولوجياً ، بل كان ضرورة فكرية وقومية وتأريخية لتجاوز الحركات والتيارات والاتجاهات السلفية والدينية والليبرالية واللاقومية . وحاجة نفسية وروحية وعقائدية لاحتواء ومن ثم تمثل حقيقة الفرد وحقيقة الأمة برسالة إنسانية مستوعبة لمتناقضات الواقع العربي ، ومستوعبة لدور الأمة باعتباره دوراً فاعلاً ومؤثراً في سياق تطور حركة الواقع والزمن والتأريخ ، كما أنه تعبير وتجسيد في آن واحد لحاجة الأمة نفسها الى عملية الانقلاب الجذري والشمولي . وإعادة بناء وجودها القومي الحضاري من جديد .

(*) ثلاثة دوافع لانبثاق حركة البعث العربي

ويقول القائد المؤسس ميشيل عفلق عام ١٩٤٧ :

«لقد إنبثقت حركة البعث العربي عن دوافع ثلاثة وهي :

١ – يقيننا بحاجة الأمة الى الانقلاب .

٢ – شعورنا بان الوقت قد حان للشروع في تحقيق هذا الانقلاب .

٣ – إيماننا بأن الجيل الجديد هو الأداة المهيأة لهذا التحقيق»[2] .

اذن انبثاق حركة البعث العربي – تنطوي على حدث (إنقلابي – تأريخي) هام في حياة الأمة العربية . وفي حياة الجيل العربي الجديد ، هذا الحدث هو خلاصة (قوة تأريخية + طاقة تأريخية + طليعة تأريخية) . **وان ما يجعل حركة البعث العربي – حركة ذات تصور ديناميكي حي – كونها قائمة على الترابط الجدلي بين الفكر والواقع ، بين المثال والمادة . بين الحياة والوجود . بين الذات والشمول .**

---

(١) البعث والتراث (ميشيل عفلق) دار الحرية – بغداد/الطبعة الاولى تموز ١٩٧٦ .

(٢) من خطاب الرفيق القائد المؤسس – ميشيل عفلق – الافتتاحي في المؤتمر التأسيسي الاول (دمشق – نيسان ١٩٤٧) .

لذلك لم تنبثق حركة البعث العربي من الفراغ أو العدم ، ولم تكن طارئة على الواقع العربي ، ولم تكن إمتداداً تقليدياً لما سبقها ، بل ولدت من رحم متناقضات الأمة ، ومن خصوصية التركيب النفسي للفرد العربي ، ومن التركيب البنيوي للواقع العربي : كحركة إنقلابية للفرد على نفسه من الداخل ، وكحركة إنقلابية للامة على واقعها من الخارج ، وكرد فعل علمي موضوعي على كل التناقضات والأمراض الداخلية والخارجية للفرد والأمة .

. . .

(*) البعث : إكتشاف لطريق خاص

وان مايبرر وجود حركة البعث العربي – كقوة فاعلة ومؤثرة في التأريخ وفي صنع التأريخ – كونها إختارت طريقاً خاصاً نتيجة إكتشاف الاسلام كثورة حاسمة في التأريخ العربي والانساني ، لان الاسلام كان حركة ثورية (انبعاثية) إرتفعت الى مستوى الثورة الانقلابية في تحرير العرب وتجديد عروبتهم ، في إكتشاف ذاتهم وتأكيد وجودهم ، وجعلتهم أمة واحدة تحمل رسالة خالدة . ولها دور تأريخي كبير في إيقاظ الروح الانسانية في العالم .

وكان الرسول العربي – الشخصية (الثورية – التأريخية) التي تكثفت فيها وتلخصت كامل أبعاد الشخصية الحضارية للأمة العربية .

وبذلك كان الرسول العربي – رمز الجيل الثوري العربي الذي قاد أول عملية إنبعاثية حضارية في أعمق وأوسع تحدٍ قومي حضاري إنساني لعوامل ومتناقضات وقوى وامراض التخلف والتجزئة والضلال والضياع الروحي والعقائدي في التأريخ القومي والعالمي .

(*) المرحلة الثورية – مرحلة نهضوية

وان كانت المرحلة الثورية (مرحلة الثورة القومية الاشتراكية) – مرحلة بناء ومواجهة وانتشار ستراتيجي ، فهي مرحلة نهضوية عربية تمخضت عن أحداث قومية – تأريخية – حضارية ، بحيث أوجدت مقاييس ومعايير وممارسات ثورية جديدة من

المجابهة والتخطي والتجاوز لعوامل وظروف وترسبات وتراكمات المرحلة الاستعمارية السابقة ، لانها وضعت الأمة أمام وضع جديد يتلخص في إكتشاف وتأكيد (قدرة الامة ومقدرتها) على الرد الثوري الحاسم على الازمات الداخلية والتحديات الخارجية .

وبما ان المرحلة الثورية – قد مهدت فعلاً طريق الانتقال من موقع البناء والدفاع الذاتي الى موقع المواجهة والدفاع القومي من خلال (البناء الثوري الايديولوجي) و (العقل القيادي الستراتيجي) – فان هذه المرحلة بالذات سترسم (اذا لم نقل) قد رسمت مؤشرات (دقيقة وحاسمة) لملامح (التطور والصراع) في المستقبل العربي .

ولو لم تكن المرحلة الثورية – مرحلة ناضجة ومتقدمة – لمّا دخلت النهضة العربية (مرحلة الانبعاث القومي) . وبالأخص مرحلة إكتشاف الطريق الصحيح والواقعي لنهوض وتحرر وانبعاث الأمة رغم الاجواء المعتمة والممارسات المشبوهة التي إختلطت فيها المقاييس والمعايير السياسية والأيديولوجية والاخلاقية .

(*) أخطاء المنطق الامبريالي الجديد

لذلك جاءت قدرة وامكانية العراق على ردع التحدي الشعوبي وايقاف مدّه العدواني التوسعي العنصري على الأمة العربية رغم إنعدام أبسط مواصفات التكافؤ الستراتيجي بين (العراق وايران) – بمثابة الدليل الذاتي والمدلول القومي على قوة ومصداقية وخصوصية واستقلالية المنطق الداخلي لحركة الثورة العربية على مستوى نوعية وكيفية مواجهة اعداء الثورة وخصوم القومية العربية .

اذن حرب العراق الدفاعية هي في جوهرها – تشكل بداية دخول النهضة العربية – مرحلة (الانبعاث الحضاري العربي) رغم معوّقات وتحديات القوى الامبريالية والرجعية .

وبالاضافة الى ان معركة العراق القومية – معركة إكتشاف لانظمة وبنى سياسية وايديولوجية منخورة من الداخل – تعمل بالاتجاه السلبي المعاكس تماماً لمنطق حركة التأريخ وحركة الجماهير وحركة الواقع وحركة الامة ، فهي معركة التحديد الدقيق .

والتحييد الحاسم لمنطق إمبريالي عدائي جديد ينطوي على أهداف مركبة تتكثف باتجاه تجزئة الواقع العربي بتجزئة مبتكرة من نوع آخر هي تجزئة الموقف العربي نفسه ، إلا ان هذا المنطق إرتكب جملة من الاخطاء أهمها : –

١ – ان تخطيطة الفكري قائم على أساس ان القومية العربية مجرد مرحلة ستنتهي عند حدود معينة من سياق التطور التأريخي العام ، ولم يقمْ هذا التصور على أساس كونها – حقيقة إنسانية حية تدلل مع تطور حركة التأريخ على ان العرب هم أمة عربية واحدة متجددة مع حركة الزمن ، وبالتالي فهي حركة (تأريخية – تحررية) متطورة .

٢ – ان تخطيطة السياسي قائم على أساس ان تطويق العراق سيؤدي الى ايقاف حركة البعث العربي الاشتراكي ، وتجميد عملية الانبعاث القومي الحضاري العربي ، وبالتالي سيقود هذه الحركة الى حالة الاستسلام للامر الواقع ، ولم يقم هذا التصور على أساس ان هذه الحركة ، – هي حركة قومية – تأريخية أيضاً ، وتقودها طليعة ثورية مستوعبة لمتناقضات الواقع العربي والعالمي ومتقدمة عليها في آن واحد .

لذلك فان خصوصية المرحلة الثورية التي دخلت فيها النهضة العربية (معركة الانبعاث الحضاري العربي) ، وان كانت تفرض من خلال سياق متغيراتها المتمثلة بـ (كثافة حجم التحديات الراهنة) : واقع التجزئة والانحراف والتخلف ، فان هذا الواقع يفرض بدوره أيضاً العودة دائماً وباستمرار الى الحالة الطبيعية لواقع الأمة القومي غير المجزأ ، وهذه الحالة تتطلب تثوير الحقائق (القومية – التأريخية) على محك الواقع العربي نفسه باتجاه العمل القومي والانطلاق الدائم من الثوابت الجوهرية للحقيقة القومية المطلق للامة العربية .

(*) كيف نتصور معركة الانبعاث الحضاري العربي ؟

بغية ان نتصور (معركة الانبعاث) بصورة متكاملة بابعادها وحدودها القومية الحضارية الانسانية ، ينبغي إعادة صياغة وبناء جملة من التساؤلات التقليدية (من جديد) وفق رؤية قائمة على «نقطة إرتكاز» شديدة الأهمية ، بحيث يتوازن فيها الزمن

بأبعاده المركزية الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) ، ومضافاً إليه البعد الرابع (الحركة) ، ومن هذه التساؤلات :

- **ما هو جوهر قانون التناقض في هذه المرحلة ؟**
- **هل هي مرحلة (إنبعاث قومي) أم (إختلال قومي) ؟**
- **أين يكمن مركز الثقل القومي العربي ؟**
- **من أين ينبثق مصدر الانبعاث الحضاري العربي ؟**
- **هل هناك انبعاث قائم على معادلة (التوازن المادي الروحي) ؟**
- **لماذا (البعث العربي) هو الحركة المرشحة لقيادة معركة الانبعاث الحضاري العربي في هذه المرحلة ؟**
- **وأخيراً ما هي معوّقات ومستلزمات معركة الانبعاث الحضاري العربي ؟**

إن جوهر هذه المرحلة يكشف ويؤكد من خلال الواقع (المنظور والمحسوس) على إختلال عميق وشامل في المعايير والممارسات القيمية ، ولهذا فهي (مرحلة التناقضات التاريخية الكبرى) في حياة الأمة العربية (بين الفكر العربي المتقدم على اشكالات الواقع . والعمل المتخلف عن مستويات الواقع نفسه) بين (الوعي العميق لعوامل الضياع العربي والممارسة غير الفاعلة في مغالبة الواقع) بين (الثروة الذاتية الهائلة للامة ، والارادة المسلوبة) .

اذن فظاهر الاختلال الجوهري قائمة من خلال انعدام التوازن بين (الجانب المادي والروحي) بين (الامكانية والارادة) بين (الطاقة التاريخية والفعل التاريخي) بين (الذات والواقع) بين (الماضي والحاضر والمستقبل) بين (حركة الصراع ومستوى التطور) ، وبذلك فهي مظاهر ناتجة عن عوامل وظروف (ذاتية – خارجية) مورثة منها وطارئة ، تقترن بامراض وتناقضات التجزئة والتخلف والانحطاط والهيمنة والتبعية والاحتلال والغزو والاستعمار المباشر وغير المباشر ، وهذه العوامل والقوى خلقت حالات التغريب ، والتيئيس ، والاحباط والاستسلام ، بحيث عملت على إفراغ

الشخصية القومية للامة من (روحها الحضارية) ، ومن ثم تشويه دورها في تأدية (رسالتها الانسانية) ، وبالتالي حاولت إستئصال جذورها القومية والتاريخية .

اذن (قانون التناقض) في هذه المرحلة بين (التحديات الامبريالية وحركة الثورة العربية) يفرض مستوىً جديداً من المجابهة الحضارية ، بحيث يضع الأمة أمام طريق إنبعاثي يبدأ من حيث ينتهي بوحدة المصير العربي ، وهذا الطريق هو بمثابة ممر قومي خطير ودقيق مشروط بانبعاث الطاقة التاريخية للعرب ، والارتفاع بها الى مستوى الحشد الثوري المنظم .

ولهذا فان طبيعة المرحلة – تؤشر بان حركة الثورة العربية قد انتقلت فعلاً الى مستوى الصراع الحضاري في الدفاع الذاتي والقومي عن وجود الأمة ، وخصوصاً من خلال (معركة العراق القومية) التي حوّلت بدورها (الازمات والهزائم والانتكاسات) في حياة الامة العربية الى (منطلق قومي – تاريخي – حضاري) للانتصار على الذات أولاً وعلى العدو ثانياً ، إضافة الى أنها أثبتت من جديد بان (البعث العربي) يستند الى قاعدة ثورية تتجذر فيها وتتأصل أبعاد (القضية القومية) ، وذلك باعتبارها (أي القاعدة) مصدر حركة الانبعاث الحضاري العربي ، ومركز الثقل القومي العربي .

ورغم ان (معركة العراق القومية) هي معركة بعثية على مستوى ترجمة المبادئ في ساحة النضال الحقيقي ، فهي معركة انبعاثية متقدمة ، لانها أوقفت المد الشعوبي عند حدوده ، وخلخلت الكيان الصهيوني من الداخل ، واعادت للجسد العربي روحه ، وللذات العربية هويتها ، وللامة ثقتها .

وبالتالي فرغم ان العراق يقود عملية الدفاع الذاتي عن وجوده ، فان مدلولها القومي يتجسّد في انها نموذج متقدم لمعركة العرب القومية الكبرى في تحرير وجود الامة من التجزئة والهيمنة والتبعية .

وبما ان (البعث العربي) هو المصدر الديناميكي الحي لجوهر حركة النهوض والتحرير القومي ، وبما انه قد قاد عملية الدفاع الذاتي في أعنف معركة كبرى في التاريخ العربي ، فان هذه العملية رسمت على الصعيد العملي – الخط القومي البياني لحدود وآفاق (معركة الانبعاث الحضاري العربي) .

ومن هذا المنطلق – نقول – بان (قانون التناقض) في هذه المرحلة (رغم انه) ينطوي على متناقضات عميقة تصل أحياناً الى درجة الانحراف القومي عن القضية القومية ، فان قوة التأثير المركزي (للبعث العربي) في مواجهة التحديات الامبريالية الجديدة قد أحكمت التوازن القومي العربي من خلال عملية قيادة حركة الصراع بعقل مستوعب لمتناقضات المرحلة ، ومتقدم عليها في فن ادارة وقيادة اتجاهات الصراع (السياسية والستراتيجية) باتجاه تصحيح (الاختلالات الذاتية والبنيوية) للواقع والامة لدرجة إرتفع الى مستوى تحقيق الفعل التاريخي ، وعمل على إستكشاف ومن ثم تحريك العوامل الجديدة الكامنة في الأمة العربية في هذه المرحلة ، وبالأخص العوامل الباعثة والمحركات الدافعة بالاتجاه الايجابي الخلاّق ، وذلك بادامة وتعميق (تناقض الأمة الرئيسي) مع تحالف القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

ونتصور بان المرحلة الثورية – مرحلة الثورة والتغيير والتحول – والتي جاءت محصلة لمعاناة (نفسية ونضالية طويلة على مستوى إكتشاف الذات . ومعرفة العدو ، وادراك روح العصر ، وتحديد صورة العالم المعاصر ، هذه المرحلة هي بالذات (المنطلق المركزي لمعركة الانبعاث الحضاري العربي) . **اذن فالبعد الزمني لهذه المعركة هو (التاريخ العربي) ، وان البعد المكاني لها هو (الوطن العربي) . وان الهدف القومي لها هو (النهوض العربي) ، وان اداة هذه المعركة هو (الجيل العربي الجديد)** .

لذلك فان ما يجعل معركة الانبعاث الحضاري العربي في حدودها الزمانية ، وفي أبعادها التاريخية ، وفي آفاقها القومية : معركة المستقبل العربي – كونها معركة بعثية (بعث الامة) ومعركة انبعاثية (بعث روح الحضارة العربية) ، أي بمعنى معركة بعثية وانبعاثية تنطلق من الذات الى الأمة ، ومن الأمة الى العالم ، عبر استنهاض التاريخ ، واحياء التراث ، وتحرير الارادة ، واستجلاء الهوية ، وتجذير الشخصية العربية .

وحين نؤطر (معركة الانبعاث) بهذا التصور ، فلأننا ننطلق من حقيقتين اساسيتين هما :

– ان عوامل التخلف والتجزئة والتبعية والانحراف – هي عوامل متحركة متغيرة لانها (طارئة) بالأساس .

– ان عوامل الفعل ، والطاقة ، والامكانية ، والايمان – هي عوامل فاعلة محركة لانها (ثابتة) بالأساس .

وما يجعل (معركة الانبعاث) – رغم تصورنا المستقبلي – حقيقة ماثلة أمامنا – هو ان (البعث العربي) يشكل قاعدة إنطلاق ثورية مركزية لهذه المعركة ، بحيث انه رسم أهدافها القومية الحضارية ، وحدّد أبعادها السياسية والستراتيجية منذ مرحلته التأسسية ومروراً بمرحلته النضالية ، وانتهاء بمرحلته الثورية التي انتقلت بها الى مستوى إمتلاك إمكانية الرد القومي على آخر التحديات الامبريالية الجديدة المتمثلة بالغزو الشعوبي – الصهيوني المزدوج ، وبذلك مهّد الطريق لمعركة الانبعاث الحضاري العربي ب (معركة العراق القومية) على الحدود الشرقية للوطن العربي .

ونخلص الى ان – معركة الانبعاث الحضاري – معركة دائمة لا تتوقف عند حدود إكتشاف الذات العربية لعوامل الضياع الروحي فحسب ، بل وباستعادة هذه الذات لعلاقتها الحية بالزمن ، ولا تتوقف عند حدود إكتشاف ملامح الهوية القومية فحسب ، بل وباستعادة هذه الهوية لجوهرها الحضاري ، ولا تتوقف عند تحرير وجود الامة من الخارج فحسب ، بل وبتحرير وجود الفرد العربي من الداخل ، ولا تتوقف عند حدود تحرير الامكانية الذاتية من التبعية والهيمنة والاستغلال فحسب ، بل وبتحرير الارادة العربية من عوامل اليأس والخوف والاحباط .

اذن فهي معركة (ذاتية – قومية عقائدية – مصيرية حضارية) لا تتوقف عند حدود الانتصار على العدو الخارجي فحسب ، وانما بالانتصار على الامراض الداخلية ، ولا تتوقف عند حدود مغالبة الزمن فحسب ، وانما بمجالدة النفس دائماً ، ولا تتوقف عند حدود السيطرة على قوانين حركة الصراع فحسب ، وانما بقيادة قوانين حركة التطور ، ولا تتوقف عند حدود إستيعاب قوانين حركة التاريخ فحسب ، وانما بالقدرة على صنع الاحداث الكبرى في التاريخ ، ولا تتوقف عند حدود نقل أو إكتساب المعرفة العلمية والتكنولوجية فحسب ، وانما بفن قيادة حركة العلم والتقنية والتكنولوجيا في البناء والتنمية الروحية والمادية .

تصويب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ينبغي به حالات	ينبغي به أن تتجاوز حالات	١٤	٦
واة	وآية	١٧	١٨
كما يبدولي	كما تبدو لي	١٩	١٨
لا يمكن تحقيقه	لا يمكن تحقيقها	٢٠	١١
إلآتعبيراً	إلاّ تعبيراً	٣١	١
دو الياس	واليأس	٣٩	٦
الكابدة	المكابدة	٥٦	١١
العمال	الاعمال	٥٨	٥
لاختيار	لاختبار	٥٩	٧
انفعالية مشروطة	انفعالية غير مشروطة	٦٢	٢٠
المتأثر هيجل	المتأثر بهيجل	٦٣	٦
في اكتشاف معنى	في اكتشاف الفنان لنفسه ، كأنسان أولاً ، وكمبدع ثانياً ، واقول (يقظة ذاتية) ليس بمعنى	٦٦	١٨
وغير المستقرة	غير المستقرة	٧٠	٢
ليست صراعاً	ليس صراعاً	٧١	٤
وتسيرها	وتسييرها	٨٩	١٧
فاعل	فاعلة	٩٩	٥
والتأثر	والتأثير	١١٨	٢
يمكن	يكمن	١٢٢	١٥
بع	بعد	١٢٣	٣
تخطيطة	تخطيطه	١٣٣	٤
تخطيطة	تخطيطه	١٣٣	٨
المطلق	المطلقة	١٣٣	١٩

المحتويات

رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٣/٧٣٦
٨/٣٠٠٠ - ١٩٨٣/٦/٢٠

مطبعة الأديب البغدادية | هاتف 8881232